المرأة
والعمل السياسي



كفاح حداد



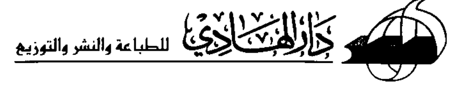


المرأة

والعمل السياسي

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

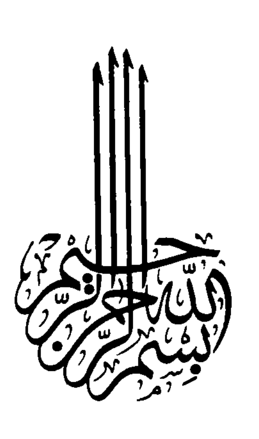


هاتف: ٥٥٠٤٨٧/ ٠١ - ٨٩٦٣٢٩/ ٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/ ٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

المرأة والعمل السياسي

كفاح الحداد




بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

الى امرأة السياسة الاولى في صدر الاسـلام والتي رسمت صـورة المنهج السياسي النسائي للمرأة المسلمة.

الى المرأة الاولى في التأييد السياسي، وفي الدعم السياسي المالي.

الى الصابرة على الاضطهاد السياسي المُر حتى راحت شهيدة هـذا الاضطهاد في الحصارالأوّل.

الى المثل الاعلى لكل امرأة وزوجة وام مسلمة.

الى سيدتي ومولاتي ام المـؤمنين خـديجة بـنت خـويلد الاسـدي رضوان الله تعالى عليها اهدي هذا الشيء اليسير وأملي منها القبول.

كفاح الحداد



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله خير البشر اجمعين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

الى أمد قريب كان المسلم ـ الرجل ـ ينظر الى السياسة والدين على انهما امران متباعدان ان لم يكونا متناقضين فالدين في جانب والسياسة في الجانب الآخر المعاكس له تماماً... وبقي المسلمون ينظرون الى الاسلام على انه مجرد طقوس جوفاء وعبادات فردية أو جماعية بعيدة التأثير على الحياة السياسية.. وكان الكثير منهم يلوم الرجل المسلم ـ وخاصة علماء الدين ـ على اهتمامهم بالسياسة ومتابعتهم للشؤون السياسية واهتمامهم بالفكر السياسي باعتبار ان مكانهم في المسجد ليؤذن ويصلي بالناس ويعلم فتاوى الوضوء والطهارة.

ومع اطلالة القرن العشرين خاض المسلمون معارك التحرير ضد

الاستعمار الاجنبي باشكاله المتعددة (الفرنسي والالماني والانكليزي والايطالي والبرتغالي وغيره) وكان جل قادة هذه الحركات هم علماء الدين ورجاله فـي ثـورة العـشرين ١٩٢٠ في العـراق والتي كـانت الشرارة الاولى ضد الانكليز كان الموجه لها المرجع آية الله الشيرازي وفي الجزائر كان الشيخ عبد القادر الجزائري وكان عمر المختار في ليبيا من اهل الفكر الديني الواضح وفي الثورة الفلسطينية كان هناك عز الدين القسام وفي الثورة الايرانية كان الامام الخميني. رحمهم الله جميعاً وهذا ما جعل الفرد المسلم يعيد النظر في حساباته ليصل الى قناعة جديدة ان الاسلام دين السياسة وان سياسته عبادة وعبادته سياسة وان الدولة الاسلامية في عهد الرسول هي خير مثال للنظام الاسلامي السياسي الناجح الذي دفع ركب الحياة الى التطور والنمو حتى كـانت حضارة المسلمين من ارقى الحضارات البشرية..

واذا كان هذا هو حال الرجل المسلم الذي تـعرض الى حملات تضليل مكثفة جعلته يرسم صورة مغالطة للدين والسياسة فكيف هو حال المرأة المسلمة.. وقبل هذا هل كان للمرأة ـ على العموم ـ وجوداً سياسياً على الساحة الانسانية أم انها كـانت غـائبة أم مـغيبة.. كما نتصور؟

لا يستطيع احد أبداً انكار الوجود السياسي للمرأة في جميع مراحل التاريخ، ولا نستطيع مهما اوتينا مـن عـلم وقـدرة عـلى محـو الاسماء النسائية اللامعة في حقب الزمان.. وكل ذلك يدل على قـدرات ربما اهملت أو ضيق الخناق عليها ربما لانوثتها!!

لا نستطيع انكار الملكات في التـاريخ، مـن كـليوباترة التي اثـرت الانتحار على الحياة ذليلة اسـيرة الى زنـوبيا التي قـادت الفـتوحات الكبرى لتكون تدمر عاصمة لواحدة من ارقى الامبراطوريات العربية، الى بلقيس التي ذكرها القرآن الكريم ورسم صورة لنظامها الديمقراطي الذي كان سبباً لنجاح سياستها في قيادة قومها نحو الاصلاح، الى آسية ملكة مصر وزوجة فرعون التي ضربها الله مثلاً للذين آمنوا رجـالا ونساءً على مر التاريخ، كلها قدرات نسائية وكفاءات عالية ظهرت في زمن بعيد عن نشر الثقافة السياسية والوعي والفكر والى زمن ظهور الاسلام تحتار من اين تبدأ والى اين تنتهي تجد المرأة اول مـن اسـلم (خديجة) واول من ينفق الاموال دعما للحركة السياسية الجديدة التي كانت تهدف الى استئصال الحكومة المشركة لاقامة حكـومة العـدل الالهـي.. وتجـد الشهـيدات والمحـاربات والخـطيبات والمـبايعات والمهاجرات... صور توحي بالعظمة والقداسـة وكأن النـور الاعـظم الذي غمر جزيرة العرب التي عرفت بجاهليتها وعدوانيتها وحـقدها على الانثى ـ بوأدها ورقـها وبـغضها لهـا ـ جـاء ليـعوض في ايـام معدودات عن (ظلم الانثى) بصورة سياسية واجتماعية وثقافية لتكون المرأة في صدر الاسلام هي القدوة الخالدة للمرأة المسلمة في كل زمان ومكان..

حتى اذا ما انتهى عصر الرسالة وجاء عصر الخلفاء بقيت بـعض الصور المشرقة للـمرأة المسـلمة وكـانت الزهـراء عليها السلام اول مـن الق الخطاب السياسي النسوي في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكانت مواقـف

النساء في تصويب اخطاء الخلفاء واضحة حتى اذا انتهى عصر الخلفاء عادت المرأة الى انعزالها وحجرها وكأن الاسلام غاب من جديد ولذا كان لابد من هزة تعيد الى المرأة احساسها السياسي فكانت ثورة الحسين عليه السلام واشتراك النساء فيها وخاصة زينب عليها السلام محطة جديدة رائدة في هذا المجال.

وبقيت المرأة تعيش العزلة التامة عن المجتمع قرون عديدة عاشت فيها ازمة مصادرة الهوية الاسلامية والانسانية في مجتمعات ذكورية قائمة على تأصيل مكانة الرجل وتثبيتها على حساب هوية المرأة وانسانيتها بل وحتى على حساب الحقوق الممنوحة لها في ظل الشريعة السمحاء.. بل ان الآيات القرآنية والمفاهيم الاسلامية كانت تؤول بما يتناسب والمجتمع الذكوري (الذي يسمح للرجال بالتصرف بنصفه الآخر من النساء وكأنهن من ممتلكاتهم الاخرى)[1].

والذي يدعو الى الدهشة حقا ان المرأة المسلمة شاركت في حركات التحرر ضد الاستعمار الحديث.. ففي ثورة العشرين العراقية. كانت زوجة شعبان المهدي تهتف بالرجال بعد ان انكسروا في بداية الامر ثم هجمت (بالفأس) على الجيش الانكليزي فتشجع الرجال وانطلقوا في شباك عنيف انتهى بالنصر المسدد وبشهادة المرأة على اثر اصابتها بقذيفة.

وفي الجزائر دخلت الكثير منهن السجون امثال جميلة بوحيرد وفي

---

(١) هشام شرابي/ النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع / ص٥٢ نقلاً عن Mernissi ibid pp.103 and 107.

الجنوب اللبناني وفلسطين كانت كواكب الشهيدات تنطلق نحو الجنان مع كواكب الشهداء.. ولكن في البلاد التي طردت الاستعمار نرى عودة المرأة الى الحجر الجبري وكأنها لم تحمل بالامس سلاحاً ولم ترسم معبرا للتحرير..

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان ازدواجية الشخصية العربية التي تريد مشاركة المرأة في القضايا الحساسة ثم تولي لها ظهرها وكأنها لم تستنفرها بالامس.

وفي القرن العشرين الذي سجل احداثا ضخمة ومهمة بشأن المرأة تلمع هناك اسماء نساء ولجن عالم السياسة منهن ملكات ورئيسات وزراء ووزيرات ومجاهدات وثائرات. وتشارك المرأة المسلمة في اسقاط اقوى امبراطوريات الشرق الاوسط في ايران وهي بحجابها واسلامها، وتترك امرأة مسلمة البرلمان التركي حفاظاً على حجابها[١].

وتثير الشهيدة بنت الهدى الاوضاع السياسية في العراق على اثر اعتقال اخيها المرجع آية الله السيد محمد باقر الصدر فتخرج المظاهرات استجابة لندائها وتجبر حكومة بغداد على الافراج عنه في رجب ١٩٧٩، صور عملية للمرأة السياسية في العصر الحديث، ومازلنا بحاجة الى الوجود النسائي المسلم القادر على الاشتراك في المؤتمرات العالمية وفي المشاركة في صنع القرار السياسي وتشكيل الاحزاب النسائية. ورغم ذلك فهناك صيحات تنطلق من هنا وهناك، ما للمرأة

---

(١) مروه قاواقچي نائبة في البرلمان التركي.

والسياسة؟ والمرأة خلقت للبيت للجدران الاربعة.. وتحتار المرأة الى أي الفريقين تعطي رأيها؟. هل تشارك في الاعمال السياسية هل تبق تعيش الانزواء في عصر الانترنت والعولمة فاسحة المجال لمن لا هم لهن إلّا حرب الاسلام ودحره عن الوجود كي يأخذن القسط الاكبر من النشاط السياسي في المجتمعات الاسلامية؟ وبين هذه الحيرة يستمر الغوص في بحر الدين لاصطياد اللئالئ لمعرفة رأي الدين؟ ماذا يريد الاسلام من المرأة؟ أيريدها حجراً محجوراً بين أربع جدران؟ ام يريدها تعيش هموم السياسة والاجتماع والناس اجمعين (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).

الى المرأة المسلمة.. اكتب كلماتي هذه فلعلها تؤتي اكلها في محو الضباب عن سماء العقيدة.

كفاح الحداد

المرأة والسياسة

معنى السياسة

اختلف الكلام في معنى السياسة وزاد الفارق بين الفلاسفة المتأخرين والفلاسفة القدامى.

فهي عند ارسطو: علم السلوك الجماعي وعند هاتزفلد: هي فن اداري، أي طريقة ادارة كل ما يعود للشؤون العامة.

وعند ابن حجر: السياسة من يسوس أي يتعهد الشيء بما يصلحه.

وفي الحديث انه: (كان بني اسرائيل يسوسهم انبياؤهم. أي تتولى امورهم). فالسياسة هنا هي القيام على الشيء بما يصلحه وهذا معناه تولي المهام لتحقيق الاصلاح بين الناس باصدار الاوامر والنواهي. وفي الموسوعة السياسية جاءت كلمة السياسة بمعنى النشاط الاجتماعي الفريد من نوعه الذي ينظم الحياة العامة ويضمن الامن ويقيم التوازن والوفاق من خلال القوة الشرعية والسيادة بين الافراد والجماعات المتنافسة والمتصارعة في وحدة الحكم المستقلة على أساس علاقات

القوة.

ومن الواضح ان هناك فروقا بين النظرية السياسية في الاسلام والتي تجعل من عالمية الاسلام وحاكميته هدفا تسعى اليه البشرية في جهادها الطويل ضد الطواغيت والمستكبرين انطلاقا من مبدأ خلافة الانسان في الارض والذي هو غاية خلقة الانسان (اني جاعل في الارض خليفة)[1] وبين النظريات الغربية التي تتخذ اسماء شتى من قبيل الديمقراطية والاشتراكية والليبرالية والرأسمالية وكلها تدور في الافق المادي والمصالح الفردية بعيداً عن الهدف الالهي في نشر راية التوحيد في كل ارجاء المعمورة ولهذا فالسياسة في الاسلام ـ بكل اشكالها ـ محاطة بهالة من القداسة التي تنبثق من طاعة الله عز وجل.

وعلى هذا فالفكر السياسي الاسلامي يجعل منشأ السياسة على يد الانبياء وخاصة خاتمهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتعتبر التعاليم السياسية هي تعاليم إلهية وثابتة في آيات القرآن الكريم والتي كانت الاساس والدستور في الدولة الاسلامية الاولى التي انطلقت من المسجد لتحكم العالم كله ولتكون اعظم واثمر واقوى الحضارات البشرية التي دامت قرونا عديدة وتركت آثارها جلية على كل ميادين الحياة حتى الآن.

ويمكن اعتبار مهمة السياسة إزالة المنكر واقامة المعروف.. وهذه هي مسؤولية كل مسلم وهنا نقترب من المعنى الذي يطرحه الفقيه ابن عقيل حول السياسة فيقول:

(السياسة ما كان من الافعال بحيث يكون الناس معه اقرب الى

---

(١) البقرة آية ٢٠.

الصلاح وابعد عن الفساد).

ومع ما يقوله عبد الوهاب خلاف:

(علم السياسة الشرعية يبحث فيه عما تدبر فيه شؤون الدولة الاسلامية من القوانين والنظم التي تتفق واصول الاسلام وان لم يقم على كل تدبير دليل خاص. وموضوعه النظم والقوانين التي تتطلبها شؤون الدولة من حيث مطابقتها لاصول الدين وتحقيقها لمصالح الناس وحاجاتهم. فعلم السياسة غايته الوصول الى تدبير شؤون الدولة الاسلامية بنظم من دينها والابانة عن كفاية الاسلام بالسياسة العادلة وتقبله رعاية مصالح الناس في مختلف العصور والبلدان)[١].

العمل السياسي

والمقصود منه العمل بالاستقلال والانفراد أو مع وفي ضمن اشخاص وهيئات أو تجمعات في مجال الحكم وتكوينه وتشكيل السلطات (التشريعية والتنفيذية والادارية) وتولي موقع من مواقع الحكم والسلطة في رئاسة الدولة أو المجالس النيابية ومجالس الشورى ورسم خطوط التحرك السياسي من خلال الترشيح والانتخاب والتصويت وصنع القرار[٢].

وعلى هذا فالعمل السياسي ليس له جانب واحد بل هو يشمل كل جوانب الحياة الانسانية كما انه متنوع النشاطات فقد يشمل تشكيل

---

(١) سعدي ابو جيب / دراسة في منهاج الاسلام السياسي ص ٤٤٤.

(٢) محمد مهدي شمس الدين / مسائل حرجة في فقه المرأة / الكتاب الثاني ص ١١.

الاحزاب والهيئات السياسية وقد يشمل المعارضة السياسية للنظام الحاكم في بلد ما كلياً أو جزئياً (اي لبعض قراراته). وايضاً يشمل الاعلام السياسي الذي قد يتمثل في صحف ومجلات أو تلفاز أو في تبني برمجة خاصة لنشر الوعي الثقافي السياسي..

ولما كانت مسألة النشاطات السياسية تضم الانتخابات في كل اقسامها ومراتبها العليا والدنيا فأن المشاركة فيها عمل سياسي والترشيح لمن يملك الكفاءة فيها هو ايضاً عمل سياسي. فالعمل السياسي يكاد يمس جميع جوانب الحياة بما في ذلك مراكز صنع القرار السياسي، وهذه امور لا تمس فرداً واحداً أو جنساً واحداً انما الجميع وكلا الجنسين.. فقد تتخذ الحكومة التي هي اعلى المراكز السياسية قراراً بمنع الحجاب في المدارس والمؤسسات أو قراراً بانشاء المدارس المختلطة وهذه القرارات تمس المرأة باعتبار القرار صادر نحوها بالذات وتمس الرجل ايضاً والاسرة بكاملها باعتبار ان المرأة هي فرد من هذه الاسرة، والاسرة التي تعيلها امرأة وتحرم من عمل مشروع دون ان يكون هناك البديل ستصاب بالضرر الواسع والخطير، وفي مسألة الحجاب فلئن رفضت المرأة الاستجابة لهذا القرار الذي ينازع حريتها الدينية فالرجل ايضاً بحاجة الى ابداء وجهة نظر اما بتأييد القرار على حساب المعتقد الديني واما العكس.. وبهذا تمس السياسة شؤون المرأة والرجل والاسرة ناهيك عن اوضاع الحكومات الفاسدة سواء في الفقر الاقتصادي الذي لا يقوم على سياسة اقتصادية ناجحة أو الفساد الاجتماعي أو الارهاب السياسي الذي يسلب الامن والراحة والقدرة

على التفكير والعيش بهناء كلها امور تؤثر على مسيرة الحياة العامة والمشاركة فيها والمعارضة لها هي كلها اعمال سياسية..

ومن هذه المقدمة القصيرة نرى ان العمل السياسي قديم فالانسان كما يقول ارسطو هو حيوان سياسي وقد كانت نشاطاته السياسية محصورة في نطاق القبيلة والحفاظ على كيانها ومكانها.. ولكنه تطور عبر التاريخ خاصة بعد ظهور نظريات الفلاسفة السياسيين الذين حددوا على مر الايام العلوم السياسية ووسعوا من افكار العمل السياسي في تشكيل الاحزاب السياسية ولما كان العمل السياسي غايته تطوير الايجابيات وتعمير مواقع القوة وردم السلبيات التي قد تشكل عاملاً من عوامل افساد المجتمع وانحطاطه فهو أحد أوجه العمل الصالح الذي دعي اليه الرجل والمرأة على حد سواء وأحد أهم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾.

(التوبة ٧١ ـ ٧٢)

العمل السياسي كما تقول د. حكمت ابو زيد:

ظاهرة متعددة الابعاد من بينها حصول المواطن على الحقوق السياسية وممارسته لها، واتاحة الفرص امامه للحراك الاجتماعي

والسياسي واحتلاله للمراكز التي تتناسب مع امكاناته ومنها تمتعه بسمات شخصية تمكنه من فرض نفسه على الاحداث والمواقف وعلى صنع القرار[1].

ما للمرأة والسياسة؟!

هذه الكلمة كانت الى عهد قريب (ما للرجل المسلم والسياسة). حتى اذا ما بان بطلانها عادت الى المرأة لتكون (ما للمرأة والسياسة). ومنذ نعومة اظفارنا نتلق دعوات ترحيبية من اسرنا ومحيطنا في ان لا نفكر في السياسة ولا نسأل عنها فهي ليست من شؤون النساء وكأن المرأة خلقت فقط لتكون انثى فتتعلم كيف تظهر انوثتها بالوجه المشروع والحرام.. وكبرنا ونحن نتحاشى الخوض في السياسة ونترقب نشرات الاخبار فتداهمنا خطوب شتى ونسمع ونرى اشجاناً وافراحاً.

ترى هل نستطيع ان لا نبارك لامرأة الجنوب اللبناني فرحتها بانتصار السياسة المسلمة..

هل يمكن لمن يملك ضميرا انسانيا حيا ان لا يستنكر جريمة اعدام الشهيدة الفاضلة بنت الهدى المرأة المسلمة العزلاء من كل سلاح مادي مع اخيها الشهيد آية الله السيد محمد باقر الصدر؟!

أو هل يستطيع ان يسير ركب الحياة غاضا الطرف عن معاناة شعب الحصار حيث تعيش المرأة العراقية أزمة المرض والجوع والانعزال الثقافي والفكري وترى الحصار يبيد اسراً ويمتص رحيق الحياة من

---

(١) المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية / ص١٥٥.

أفواه أطفال في بهجة الحياة.

ان السياسة لا تترك فرداً من افراد المجتمع دون ان تؤثر فيه وفي طريقة عيشه في الحياة.. فلو كان الحاكم مستبداً وعلمانياً يمنع المرأة من حجابها ويحاسبها على صلاتها في المسجد.. أفهل تستطيع المرأة السكوت عن الحديث عن مظالم السياسة؟ وحينما يكون الحاكم مستبداً يزرع الخوف والارهاب في نفوس الرعية البائسة ويسومهم سوء العذاب ويسحق كرامتهم ويذيقهم ذل الحياة الدنيا ونتساءل.. ألا تمس هذه الآلام كيان المرأة وكيان الاسرة كله؟. أفلا تبق تعيش على الخوف والتوتر والوجل على الاولاد والزوج والاشقاء امام متصديات الدهر وعاديات الايام؟ المرأة هنا حتى وان كانت في بيتها هي بلا امان ولا تشعر به أبداً لانها لا ترى الا ظلم (السياسة) وقدرتها على ابادة الاحبة؟

وامام الفساد السياسي وسوء التدبير يساق المجتمع كله نحو الفساد، ترى كيف تتعامل المرأة مع الامور؟. هل تجاري (السياسة) اسوة بالآخرين؟ هل تتمرد لتقلب الاوضاع الى احسن؟ هل تتناسى الهم الاكبر امام انحراف اولادها وضياعهم؟

وامام الفساد الاقتصادي الذي تأتي به (السياسة) الفاسدة هل تستطيع المرأة ان تكون بمنأى عن الفقر؟ كيف تشبع وحولها اكباد حرى واولادها يبيتون على الطوى ولا تستطيع ادمغتهم استيعاب ما تزخر به الكتب المدرسية لخواء البطون؟ السياسة لن تترك احداً دون ان تؤثر فيه ويتأثر بها ولخواء عقول نساءنا انجرفت الكثيرات مع

التيارات العلمانية التي غزت بلاد المسلمين. واصبحنا لا ندري ما هو المطلوب من المرأة هل هو التحرر حتى التسيب؟ هل هـو القـبوع في الدار حتى الممات والتحجر؟ أم هي ادوار متعددة تبرز فيها شـخصية المرأة الانسان القادر على تغيير وتحسين الاوضاع الى ما هو فيه خير وبركة الى جوار شخصية الزوجة والام.

من الصعب امام عصر التقنيات الحـديثة ان تبق نساءنا في جـهل مطبق امام المعادلات السياسية المتغيرة في الساحة. فالوعي السياسي للرجل والمرأة هو تبصرة على مـا هـو المـطلوب عـمله في الظـروف الراهنة اضافة الى انه يكشف صور الاعداء والاصدقاء كي يفهم الفرد ما هو الموقف ازاء كل منهما..

وترى الآن نحن بين فريقين: فريق متشدد ينادي بشعار (ما للمرأة والسياسة) يمتلك ادلة وحججاً على ما يقول، وفريق آخر يرفع شعار المرأة ودورها في السياسة ويقدم ايضاً أدلة وبراهين.

يقول الفريق المعارض:

١ ـ ان المرأة خلقت لمهمة واحدة فقط هي مهمة البيت ولا علاقة لها بخارجه.

٢ ـ وان الاسلام دعا المرأة الى المكوث في البيت.

٣ ـ وان المرأة غير مؤهلة اصلاً للعمل السياسي.

٤ ـ وان العمل السياسي مفسدة للمرأة.

ويقول الفريق المؤيد:

١ ـ ان العمل السياسي لا يختلف ابداً عن العمل الاجتماعي والثقافي

والاقتصادي.

٢ ـ ان نوع نظام الحكم يترك اثره على المرأة فلماذا لا تشارك في رسم اوضاعها العامة.

٣ ـ وان الاسلام دعا المرأة الى المشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية عبر رسمه لصورة الحجاب حيث جعل لها زياً خاصاً يؤهلها لاداء ادوارها الاخرى.

٤ ـ ان تخلف المرأة ثقافياً معناه تخلف المرأة اجتماعياً ومعناه تخلف المرأة والمجتمع سياسياً فالبلد المتخلف هو الذي يملك أعلى نسبة من النساء المتخلفات أو كما يقول جورج طرابيشي الذي اعلن ان العرب ليسوا مئة مليون بل خمسين مليون فقط ذلك لاعتباره ان النساء يشكلن النصف المشلول عن العمل[1].

ولقد احتارت المرأة بين هذا وذاك وزاد من حيرتها انها لا تدري هل منحها الاسلام حقوقاً سياسية أم لا.. ومما زاد أكثر من تذبذها ان كل يفسر الآيات بما يهوى. فريق يؤول الآيات الى البقاء المطلق في المنزل وفريق آخر يرسم صورة اخرى..

وتجد دوماً ان الرجل (عربياً ام اجنبياً) يشمئز من تدخل أو تساؤل المرأة عن السياسة لأنه يعتبر ذلك ميدانه الاول والاخير ويفرض عليه الحصار المقدس رافعاً شعار ممنوع دخول النساء (أو الحريم) عند الباب.

---

(١) د ـ هشام شرابي / النظام الابوي و اشكالية تخلف المجتمع العربي ص ٥٢ نقلاً عن جورج طرابيشي.

قابل نابليون ذات مرة ارملة (كوندورسية) وكانت من زعيمات الثورة فخاطبها محتداً وفي نبراته نغمة الآمر الذي لا ينتظر ممن يخاطب جواباً:

مدام.. اني لا احب ان تتمحك المرأة في السياسة. فاجابته على الفور: لك الحق ايها الجنرال ولكن من الطبيعي في بلد تحتز فيه رؤوس النساء ان يكون لهن الحق في ان يسألن عن السبب في ذلك[1].

جواب قصير ولكنه ينم عن حقيقة واقعة.. ونحن الآن في القرن الحادي والعشرين نرفع شعار (ما للمرأة والسياسة) وفي القرن العشرين سجلت المرأة حضوراً واسعاً في حركات التحرر العربي والاسلامي وهناك لم يرفع شعار (ما للمرأة والسياسة)!!

ان الذي حرم المرأة حقها السياسي فعل ذلك لأمرين:

١ ـ ان حقوق النساء تتفق وحقوق الرجال وانهن محميات بما للرجال من حق التصويت (اي ان المرأة تبع للرجل في افكاره وسياساته). هذا ما فسر البعض به الامور.

٢ ـ ان المرأة عاجزة عن تطبيق حقها السياسي واستعماله و هذا ما تصوره.

وقبل هذا وذاك لابد وان نبحث في امر هل المرأة اهلاً للمشاركة السياسية والعمل السياسي؟ فاذا كانت اهلاً فلم لا ندعوها؟ ولم نبخسها حقها؟ واذا لم تكن اهلاً لذلك فلِم ندور في بحث مفرغ؟ ثم اين هو رأي الاسلام؟ هل يسمح ام يعارض؟

---

(١) احمد مظهر / المرأة في عصر الديمقراطية / ص ١٤.

ولهذا فمن الافضل ان نبدأ حديثنا عن اهلية المرأة للعمل السياسي ثم نترك لانفسنا فرصة التفكير لاتخاذ الرأي الصحيح والمناسب الذي يتوافق مع كتاب الله من خلال آياته، ومع السنة الشريفة، التاريخ في احداثه، العلم في مقرراته، رحلة قصيرة لنفكر معاً.

أهلية المرأة للعمل السياسي
حسب آيات القرآن الكريم

لا يختلف اثنان ابداً ان القرآن هو الثقل الاكبر ومصدر التشريع ولهذا اثرت ان يكون البحث في آيات الكتاب المبين لنستجلي الحقائق المتعلقة بالموضوع.

ومما لا شك فيه ان القرآن الكريم حينما يوجه خطابه للمرأة فانه تارة يوجه الخطاب على وجه العموم للمرأة والرجل ﴿يا ايها الذين آمنوا﴾ وتارة يحدد في موارد ذكر النساء ﴿الرجال قوامون على النساء﴾[1]، ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض﴾[2]. واذا اردنا ان نحصل على مقصدنا فاننا سوف نبحث في دوائر عديدة:

١ ـ واول هذه الدوائر هو الخطاب العام الذي تستوي فيه المرأة مع الرجل فاذا اردنا ان نهتدي الى حقوق المرأة السياسية فاننا وبلا شك

---

(١) النساء / آية ٣٤.

(٢) التوبة / آية ٧١.

سنبحث عنها مع حقوق الرجل.. حيث تعتبر آيات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وآيات الولاء والولاية عامة لكلا الجنسين. وقد استدل المفكر الكبير آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) ان كل مؤمن ومؤمنة مؤهل للولاية السياسية وان الرجال والنساء سواء فيها في قوله:

(وتمارس الامة دورها في الخلافة في الاطار التشريعي للقاعدتين القرآنيتين التاليتين ﴿وامرهم شورى بينهم﴾ الشورى / ٣٨، **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾**.

فان النص الاول يعطي صلاحية ممارسة امورها عن طريق الشورى ما لم يرد نص خاص على خلاف ذلك النص (كالنص الوارد في امامة اهل البيت) والنص الثاني يتحدث عن الولاية وان كل مؤمن ولي الآخرين.... والنص ظاهر في سريان الولاية بين كل المؤمنين والمؤمنات بصورة متساوية)[١].

وبالتأمل في الآيتين، آية الشورى وآية ولاية المؤمنين نجدهما اساساً فكرياً واسعاً للحقوق السياسية بل للواجبات السياسية للأمة بكل عناصرها، الرجالية والنسائية على حد سواء. والآية الكريمة الاخرى التي توجب العمل السياسي بمستوى الكفاية على الرجال والنساء كمعارضة الحكام واقامة الدولة الاسلامية وتوجيه الرأي العام

---

(١) دور المرأة في بناء المجتمع / مؤسسة البلاغ / ص ٦٩ ـ ٧٠ عن كتاب الاسلام يقود الحياة.

السياسي... الخ هو قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون﴾

(آل عمران / ١٠٤).

ان القرآن الكريم في هذه الآية يوجب ان تكون من المسلمين امة (جماعة) تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهذه الجماعة شاملة للرجال والنساء على حد سواء بدليل قوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم...﴾[١].

فاذا كنا قد آمنا ان هذه الخطابات القرآنية ـ وغيرها كثير ـ موجهة للرجل والمرأة فنحن هنا سنؤمن لا محالة بتساوي الحقوق والواجبات بين الاثنين وهذا دليل واضح على اهلية المرأة للعمل السياسي و وجوب مشاركتها فيه.

٢ ـ هناك الآيات القرآنية التي يرد فيها ذكر النساء على الخصوص اما بسبب حادث ما أو للاجابة على امر ما وايا كانت الاسباب فهذه الآيات الخاصة كما نتصور نستطيع ان نستجلي منها الكثير من الحقائق القرآنية المهمة ومثال ذلك الآيات التي تتحدث عن بيعة النساء والهجرة والمباهلة والشكوى وغيرها.

٣ ـ الآيات التي تتطرق الى رسم صور ماضية قبل الاسلام ولكنها ترسم لنا مناهج جديدة في البحث فهناك قصة بلقيس في القرآن المرأة التي حكمت (بديمقراطية) يصورها القرآن الكريم في آياته المباركة ثم يرسم الحاكمية المثلى في القيادة التي تقود امة كاملة نحو الصلاح

---

(١) مؤسسة البلاغ.. / دور المرأة في بناء المجتمع ص ٦٩ ـ ٧٠.

والهداية وتجد في القرآن الكريم ما يعاكس ذلك تماماً في صور الملوك الطواغيت الذين كانوا من المفسدين والظالمين من امثال نمرود وفرعون وغيرهما.

وهناك الآيات التي تضرب المرأة مثلاً للذين كفروا فتضرب صوراً للخيانة السياسية والدينية في صورة امرأة نوح ولوط ومثلاً للذين آمنوا في صورة الملكة الموحدة التي تعاني الاضطهاد السياسي المر الذي يرفعها الى بيت من بيوت الجنة.

ولما كان البحث في الآيات الاولى يشمل الرجال والنساء على حد سواء فقد اثرت ان اترك الامر لمن يهمه البحث فيها على ان ندرس الآيات الواردة في القسم الثاني والثالث كي نستعين بها للوصول الى تعيين الحقوق والواجبات السياسية للمرأة المسلمة.

١ ـ بيعة النساء

﴿يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم﴾.

الممتحنة / آية ١٢.

عن عروة بن الزبير، ان عائشة زوجة النبي ﷺ قالت: كانت المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله ﷺ يمتحن بقول الله ﴿يا ايُّها النبِيُّ إذا جاءكَ المُؤمِناتُ يُبايِعنكَ﴾... الى آخر الآية، قالت عائشة: فمن

اقر بهذا من المؤمنات، فقد اقرّ بـالمحبة، فكـان رسـول الله ﷺ اذ اقررن بذلك من قولهنّ قال لهـنّ: انطلقن فقد بـايعتكنّ، ولا والله مـا مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير انه بـايعهن بـالكلام، قالت عائشة: والله ما اخذ رسول الله ﷺ على النساء قط، إلّا بمـا امره الله عز وجل، وكان يـقول لهـنّ اذا اخـذ عـليهنّ قـد بـايعتكنّ كلاماً[1].

عن قتادة «(فامتَحِنُوهُنَّ) كانت محـــنتهنّ ان يسـتحلفن بـالله مـا اخرجكنّ النشوز، وما اخرجكنّ إلّا حبّ الإسلام واهله، وحِـرصٌ عليه، فاذا قلن ذلك قبل ذلك منهنّ»[2].

الآية هنا تصور احدى الصور الجديدة على المجتمع ألا وهي بـيعة النساء المؤمنات على شروط اقرب الى ان تمس الصنف النسائي فالبيعة كانت على ان (لا يشركن بالله) من الاصنام شيئاً، (ولا يسرقن) من ازواجهن أو غيره. لا يزنين ولا يقتلن اولادهن بالوأد واسقاط الاجنة وغيره، (ولا يأتين ببهتان يفترينه من بين ايديهن وارجلهن) أي يحملن من الزنا ثم يضعنه وينسبنه الى ازواجهن، (ولا يعصينك في معروف).. نسب المعصية الى الرسول دون الله لأن المراد ان لا يتخلفن بـالمعصية عن السنة التي يستنهـا النـبي ﷺ ويـنفذها في المجـتمع الاسـلامي فيكون ما سنّه هو المعروف[3].

---

(١) الطبري / جامع البيان / مجلد ١٤ / ص ٦٨.

(٢) الطبري / جامع البيان / مجلد ١٤ ص ٦٨.

(٣) الطباطبائي / الميزان ج ١٩ / ص ٢٧٩.

والملاحظ ان اركان بيعة النساء هنا ستة:

١ ـ على ان لا يشركن بالله شيئاً.

٢ ـ ولا يسرقن.

٣ ـ ولا يزنين.

٤ ـ ولا يقتلن اولادهن.

٥ ـ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن.

٦ ـ ولا يعصينك في معروف.

واصل البيعة من مادة بيع ومعناها اعطاء اليد عند اقـرار المـعاملة وهي تعني تعهد الطاعة فهي نوع من العقد والمعاهدة بين المبايع والمبايع معه.. والمبايعة على هذا تفترض طرفين. مبايع (بكسر الياء) ومبايع له (بفتح الياء). وقد كان من جاري العادة والمألوف عند العرب في حالة اتمام عقودهم التجارية، بدلاً من التسجيل في ورق أو الختم أو التوقيع ان يصافح البائع المشتري وحينما جاء الاسلام لم يلغ هذه الصورة وانما الغى ما بها من صنمية حيث كان الطرفان يحـملان حفنة مـن تـراب الارض أو الحصى بين كفيهما وكأن لسان الحال يقول (الارض تشهد علينا) وحينما جاء الاسلام الغى ذلك حيث الله تعالى اول الشـاهدين وخير الشاهدين[١].

والمبايعة في جوهرها هي مبايعة مع الله عـز وجـل: ﴿ان الذيـن يبايعونك انما يبايعون الله﴾[٢]. وعلى هذا فـالبيعة فـيها رونـق الهـي

(١) محمد علي قطب / بيعة النساء للنبي (ص).

(٢) سورة الفتح آية ١٠.

يكللها بالقداسة لانها عهد مع الله تعالى بطاعة المبايع معه المنتخب للبيعة وقد بايع الرسول ﷺ الرجال بالمصافحة اما النساء فقد بايعهن بأن وضعن ايديهن في اناء كبير فيه ماء ووضع الرسول ﷺ يده في طرف آخر.

ونحتاج هنا الى أكثر من وقفة كي نستجلي حقيقة البيعة، فمن جهة نجد ان المرأة التي عاشت في ذلك الوسط الجاهلي التعيس الذي وأد البنت وقتل اصالتها الانسانية تجد هذه المرأة قد آمنت بكتاب الله الذي نزلت منه آيات قلائل وهي ترى كل قوى الشرك مجندة لحرب الرسول وقتاله ومحو رسالته ولكنها تعلن وبصراحة واقرار وعهد وميثاق غليظ اختيارها لصراط الرسول ﷺ وعهدها على الطاعة التامة حتى في القضايا الخاصة بالمرأة فلقد بايع الرسول ﷺ الرجال على الجهاد والايمان وبايع النساء على الشروط الستة الآنفة الذكر.. أليست هذه قوة واضحة في شخصية المرأة الانسان تسمو وتتعالى عن الضعف المنسوب الى شخصية المرأة الانثى التي كانت هي الصورة الوحيدة للمرأة عبر التاريخ وحتى في جاهليتنا المعاصرة.

اكدت الآية على اهلية المرأة على (الدخول في العهد الالهي مع الرجال وتقبل شروطاً اضافية تعبر عن الهوية الانسانية للمرأة الملتزمة وتنجيها من شروط الجاهلية القديمة منها أو الجديدة والتي تتعامل معها كمتاع بخس رخيص ووسيلة لاشباع شهوة الرجال)[1].

أن الرسول بايع الرجال على امور والنساء على امور اخرى وهذا

---

(١) مكارم شيرازي / التفسير الأمثل / ج ١٨ / ص ٢٤٧.

الاختلاف ليس لأن الله كرم الرجال بامور أو انه تجاهل الادوار النسائية فجاءت شروط البيعة بخساً لهن وانما جاء مراعاة للادوار التخصصية التي يمتاز بها كلا الجنسين فالمسألة ليست مسألة تزاحم على ان تكون هناك مشابهة بين الاثنين بل هي مساواة في حق كل منهما مع مراعاة خصوصية الطرفين حيث الاقرار بان هذا الاختلاف ليس منقصة وانما هو من وسائل تكامل المجتمع وادامة الحياة البشرية.

واذكر هنا الرواية عن وافدة النساء لكي نعلم على ان الخصوصيات الحياتية لم تحبط اجراً ولم تنقص مكانة ولم ترفع فرداً.

فقد جاء في المأثور ان اسماء بنت يزيد الانصارية اتت الرسول ﷺ وهو بين اصحابه ﷺ فقالت له: بأبي انت وامي اني وافدة النساء اليك، واعلم نفسي لك الفداء انه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا إلّا وهي على مثل رأيي، ان الله بعثك بالحق الى الرجال والنساء فآمنا بك وبالهك الذي ارسلك، وانا ـ معشر النساء ـ محصورات مقسورات، قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات اولادكم وانكم ـ معشر الرجال ـ فضلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وافضل من ذلك الجهاد في سبيل الله. وان الرجل منكم اذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم اموالكم وغزلنا لكم اثوابكم وربينا لكم اولادكم فما نشارككم في الاجر يا رسول الله؟

التفت النبي ﷺ الى اصحابه وقال: هل سمعتم مقالة امرأة قط

احسن من مساءلتها في امر دينهـا من هذه؟[1] فاجابه الصـحابة: يـا رسول الله ما ظننا ان امرأة تهتدي الى مثل هذا. وما جاء من شروط البيعة مع النساء كان لتسليط الضوء على الانحرافات الاجتماعية (الزنا، السرقة، البهتان...) ليؤكد القرآن ان هذه الظواهر التي كانت سـائدة وعادية في مجتمع الجاهلية فانها لا تليق بالمرأة المسلمة التي هي أجل من هذه الامور التي تحط من كرامتها الانسانية.

وعلى هذا نستطيع القول ان قبول المرأة المسلمة بشروط البيعة كان على حرية تامة منها فلم يجبرها احد عـلى ذلك ابـداً ﴿لا اكـراه في الدين﴾[2]. وهي ايضاً دليل واضح على (حرية المرأة في التعبير عـن رأيها ومعتقدها فهي ليست تابعة للرجل ليكون ايمانها عـلى هـامش ايمانه وبيعتها تابعة لبيعته لانها انسان مستقل في مسألة الايمان والكفر والطاعة والمعصية)[3].

لقد ملكت المرأة المسلمة هنا حرية انتخاب الحاكم والقائد. وهذا بحد ذاته يعتبر (طفرة اجتماعية كبرى) تشـير الى النـضج السريـع في الفكر الانساني ذلك الوقت. ويرى البعض ان حق انتخاب الحـاكـم والذي يمثل حق التصويت في الوقت الحالي يولد تشـابهاً كـبيراً بـين مسألة البيعة وبين الانتخابات الحالية ولكن لا ننسى ابداً ان القداسة في امر البيعة (يبايعون الله) وعدم قدرة المبايع عـلى فك البـيعة في حـين

---

(١) الطباطبائي / تفسير الميزان / ج ٢ ص ٣٥٠.

(٢) البقرة آية ٢٥٦.

(٣) محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن مجلد ٢٢ ص ١٩٥.

يستطيع التحلل (وبسهولة احياناً) من توابع الانتخابات تجعل للبيعة شأناً ارفع كما تمنح لصاحبها الاحساس العميق بالمسؤولية تجاه البيعة الامر الذي يعزز الشعور بالخوف من الله ويذكر الفرد المسلم بالتزاماته الدينية فلا يستطيع التملص منها ولو على حساب روحه.

ومن جهة اخرى نرى تكريم الرسول ﷺ للمرأة بقبوله بيعة النساء كالرجال تماماً مما يثبت الاهلية التامة للمرأة المسلمة في الالتزام بالشؤون السياسية وقدرتها على ذلك ونجد الاقرار الالهي ايضاً ببيعة النساء فالقرآن يتنزل في وحي سماوي يؤكد البيعة مع النساء بلا فرق بينها وبين الرجل.

لقد عانت المرأة الغربية كثيراً من اجل الحصول على هذا الحق الذي اقرته شريعة الاسلام، وبعد قرن كامل من الصراع منحتها بعض الدول حقها في التصويت، بعد ان بقي (الفلاسفة) ردحا يتغامزون وينهون عن منح النساء هذا الحق كأمثال روسو الذي حرم المرأة حتى من حقها في اختيار العقيدة التي تتصل عن طريقها ببارئها.!!

ونجد ان الولايات المتحدة الامريكية صادقت على قانون المساواة بين المرأة والرجل في الحقوق السياسية عام ١٩٢٠ واقرت ذلك الامم المتحدة عام ١٩٤٨، والذي بقي حبراً على ورق و ما زالت المرأة تخوض حرباً سجالاً من اجل حصولها على هذا الحق في دول كثيرة.

يقول مل: اذا كنا نعطي المرأة الحق في اختيار الزوج ألا ينبغي بالاحرى ان نعطيها الحق في اختيار من سيتولون حكمها وادارة دفة

الامور في البلاد[1]. واعترض كثيرون على منح المرأة هذا الحق لأن النساء (محميات بما للرجال من حق التصويت ولأن المرأة عاجزة عن تطبيق حقها السياسي واستعماله بحيث يعود عليها بالخير)[2].

وتخوض المرأة صراعاً مريراً من اجل حق منح لها قبل أكثر من ١٤ قرناً من الزمن وتساوم على هذا الحق، وحتى ان مُنح لها فهو منح منقوص يتغاضى عن اهلية المرأة التي اعترفت بها رسالة السماء!

٢ ـ هجرة النساء

﴿يا ايها النبي اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتُمُوهُنَّ مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هُنَّ حلٌ لهم ولا هم يحلُّون لهن﴾ (الممتحنة / ١٠).

وقد جاء في سبب نزولها ان رسول الله ﷺ صالح بالحديبية مشركي مكة على ان من اتاه من أهل مكة رده عليهم ومن اتى أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ فهو لهم ولم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتاباً وختموا عليه.

فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبي بالحديبية فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم، وقال مقاتل هو صيفي بن الراهب ـ في طلبها وكان كافراً فقال: يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة

---

(١) ستيوارت مل / استعباد النساء / ص ٢٤.

(٢) احمد مظهر / المرأة في عصر الديمقراطية / ص ٢٧.

الكتاب لم تجف بعد فنزلت الآية ﴿يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات...﴾[1].

قال ابن عباس: امتحانهن ان يستحلفن ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض، ولا التماس دنيا، وما خرجت إلّا حباً لله ولرسوله فاستحلفها رسول الله ﷺ ما خرجت بغضاً لزوجها، ولا عشقاً لرجل منا، وما خرجت إلّا رغبة في الاسلام فحلفت بالله الذي لا اله إلّا هو على ذلك فاعطى رسول الله ﷺ زوجها مهرها وما انفق عليها ولم يردها عليه.

فكان رسول الله ﷺ يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء اذا امتحن ويعطي ازواجهن مهورهن.

كلنا يعلم ان الهجرة امر شاق على الرجل والمرأة على حد سواء فتغيير البيئة والاجواء المحيطة وبقاء المستقبل في باب المجهول الغامض قد يجعل الكثيرين يتلكؤن عن الهجرة والفرار بدينهم حينما تضيق عليهم الارض بما رحبت وتشتد السياط على ظهورهم. وكما هاجر الرجل المسلم فراراً بدينه ونجاةً من ايدي المشركين فقد هاجرت المرأة المسلمة حفاظاً على دينها من ان تُفتتن. ولأن كان القرآن الكريم قد اشار الى هجرة المسلمين في آيات عديدة فانه هنا خص النساء بمسألة الهجرة وسماهن مؤمنات قبل الوصول (اذا جاءك المؤمنات) وهذا دليل واضح على العمق الايماني في النفوس رغم حداثة عهد الاسلام من جهة ورغم تدهور وضع المرأة العام المتأثر برواسب الجاهلية المقيتة.

---

(١) الطباطبائي /الميزان/ج ١٩ / ص ٢٨٠.

نعم، هاجرت المرأة المسلمة الى ارض جديدة في سبيل نصرة دينها، وهجرتها لم تكن فراراً من زوج أو املاً في مطلب مادي وهذا ما يشير اليه الامر الالهي بالامتحان لهن مع الامر الالهي بعدم ارجاعهن الى الكفار. كانت الهجرة بحد ذاتها امتحان للمرأة نفسها لاثبات كفاءتها السياسية والدينية وقدرتها على التحمل من اجل العقيدة ولاظهار صفاء نيتها وخلوصها لله تعالى، وقد سأل الخليفة الثاني عمر احدى المهاجرات وتدعى (ليلى بنت ابي حثمة) ـ قبل ان يسلم ـ الى اين يا ام عبدالله فاجابته قائلة: لقد آذيتمونا في ديننا فلنذهب في ارض الله الواسعة[1].

وقد ورد في كتب السيرة والتراجم هجرة العديد من النساء الى المدينة ومنهن ام الفضل زوجة العباس وام سلمة بنت ابي امية وليلى بنت ابي حثمة واميمة بنت عبد المطلب وزينب بنت جحش وغيرهن[2].

ومن الجدير بالذكر ان واحدة من هؤلاء المهاجرات لم ترتد عن دينها ابداً. قال الامام الازهري: (وما نعلم احداً من المهاجرات ارتدت بعد ايمانها)[3].

وجاء ذوو النساء يطالبون بارجاعهن فرفض الرسول ﷺ ذلك

---

(١) فتنت مسيكة بر / حقوق المرأة بين الشرع الاسلامي والشرعة العالمية لحقوق الانسان / ص ٢٦٦.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد / ج ٨ ص ٢٧٦ ص ٣١٣. الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص ٤٥، ٤٦، ٤٧.

(٣) رواه البخاري / كتاب الشروط / ج ٦ / ص ٢٨١.

﴿فلا ترجعونهن الى الكفار﴾ فقد هاجرت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط في تلك المدة. وهي اول من هاجر من النساء بعد هجرة الرسول ﷺ ، خرجت من مكة وحدها فخرج اخوها عماره والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه ان يردها اليهم بالعهد الذي بينه وبين قريش في الحديبية فلم يفعل، ابى الله ذلك[1].

وترى ام سلمة تسأل الله ﷺ يا رسول الله لا اسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فنزلت الآية.

﴿فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾

(آل عمران / ١٩٥).

هذه الآيات النازلة في ركب الفواطم (فاطمة بنت اسد، وفاطمة بنت محمد ﷺ وفاطمة بنت الزبير) اللائي هاجرن مع علي بن ابي طالب بعد الرسول ﷺ ولحق بهم في ضجنان ام ايمن ونفر من ضعفاء المؤمنين فساروا وهم يذكرون الله في جميع احوالهم حتى لحقوا بالنبي ﷺ[2].

وهكذا جاء الوعد الالهي للمرأة بأن الله لا يضيع عمل عامل منكم دون فرق بين الذكر والانثى وايضاً تأتي استجابة الله تعالى لتساؤل

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد.

(٢) الطباطبائي /الميزان /ج ٤ /ص ٩٥.

امرأة من المسلمين لينزل قرآناً ناطقاً خالداً مدى الدهر يثبت حقيقة المساواة الانسانية بين الجنسين ويرسم صورة العدالة الالهية التي لا تضيع عمل احد ابداً على حساب الجنس أو اللون أو غيرها من الرمزيات التي يقدسها البعض.

لقد كانت الهجرة عملاً صالحاً خالصاً لوجه الله.. عاشت المرأة فيه صراعاً مع الاهل والعشيرة وثبتت في مكانها رغم مطالبة الاهل والاقربون بها. ولهذا جاءت الاستجابة الالهية بعدم تضييع الحقوق (لأن قضية العمل الصالح لا تختلف في خصائص الذكورة والانوثة بل تنطلق من خصائص الانسانية في حركتها الصاعدة في الحياة.. فللانثى نصيبها من الحياة)[1]. ويعلق محمود شلتوت على هذه الآية بالقول: (لقد سما القرآن بالمرأة حتى جعلها بعضاً من الرجل وكيف حد من طغيان الرجل فجعله بعضاً من المرأة وليس في الامكان ما يؤدي بمعنى المساواة اوضح ولا اسهل من هذه الكلمة التي تفيض بها طبيعة الرجل والمرأة)[2].

ان هذه الآيات المباركات تثبت اموراً عديدة لا ادري لِمَ يتغاضى عنها الكثيرون فهي من جهة تثبت الاهلية السياسية الكاملة للمرأة وكفاءتها ايضاً وتحملها الكثير من اجل الحفاظ على عقيدتها ودينها، وتثبت ايضاً ان لا فرق بينها وبين الرجل في تحمل اعباء الدعوات الخيرة ومحاولات الاصلاح السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي

---

(١) محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن / مجلد ٤.

(٢) محمود شلتوت / الاسلام عقيدة وشريعة / ص ٢٢٤.

وهذه المرأة الضعيفة التي يراها البعض تنهار امام الاهواء تشمخ لنا الآن في صورة القوة الفاعلة القادرة على تغيير مجرى الاحداث.

لا نستطيع ان ننكر ابداً ان هجرة النساء كانت من دعائم بناء الدولة الاسلامية الجديدة. لقد حركت هذه الهجرة نفوس الانصاريات انفسهن للسعي أكثر فأكثر من اجل الدولة الفتية، وبقيت النساء آمنات ولم يرجعن الى بلاد الكفر. وكان على الانصار قبول النساء وتوفير اسباب الحياة اللائقة بهن والحماية لهن، وهذا هو بالضبط ما نسميه في مصطلحنا الحديث باللجوء السياسي. فالمرأة المسلمة المهاجرة مُنحت هذا الحق بعد هجرتها الى المدينة وبقيت مكرمة موقرة. وبقي الرجل غير المسلم يناضل من اجل الحصول على حق كهذا يعطيه الامان حينما تدلهم الخطوب ويوفر له اسباب الحياة الآمنة حينما تشتد الظلمات ولكنه حصل عليه عام ١٩٤٨ في ميثاق الامم المتحدة!!

ولأن كانت المرأة المسلمة المهاجرة بمفردها في ذلك الوقت الذي ما زالت تشم فيه روائح الجاهلية النتنة قد حصلت على حق اللجوء السياسي كأول انسان في العالم وجاء الحق هذا مقدساً في آية مباركة من كتاب الله تعالى، أفهل نقول بعدها ان المرأة غير مؤهلة للعمل السياسي والاهتمام بشؤون الأمة!!

٣ ـ المباهلة

﴿ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن

فيكون. الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناؤكم ونساءنا ونساؤكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكافرين﴾.

(آل عمران ٥٩ ـ ٦١)

وقد ورد في تفسير ابن كثير: (فلما اصبح رسول الله الغد بعدما اخبرهم الخبر اقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة..).

هل نستطيع القول ان المباهلة كانت مؤتمراً سياسياً خطيراً للغاية اذ قد يترتب عليه نتائج رهيبة؟ واذا كان المؤتمر (هو اجتماع بين عدد من رؤساء الدول أو مندوبي الحكومات أو الشعوب للتشاور والتباحث في قضايا مشتركة فيما بينهم وقد تكون هذه القضايا سياسية أو اجتماعية أو حقوقية أو اعلامية أو حربية) كما جاء في الموسوعة السياسية. أفلا ينطبق هذا على المباهلة نفسها باعتبارها ضمت الوفد الاسلامي الذي كان فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً عليه السلام والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام بالاضافة الى الوفد النصراني الذي ضم السيد والعاقب وغيرهم وقد امر الله نبيه بالمباهلة ونزلت الآية الكريمة تدعو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لاصطحاب اهل بيته معه للمباهلة فاخذ معه الحسن والحسين وكانا صغيرين يمثلان ابناؤنا وقد جاء في التبيان للطوسي (وقال ابن ابي علان فيها دلالة على ان الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحالة

لأن المباهلة لا تجوز إلّا مع البالغين)[1].

ومع الاخذ بنظر الاعتبار بكون (الحسن والحسين امامان ان قاما وانْ قعدا) ومثلهما كمثل عيسى عليه السلام اوتي الحكمة صبياً. وكان الامام علي بن ابي طالب عليه السلام الى جواره يمثل نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكانت الزهراء عليها السلام تمشي مقنعة تمثل نساؤنا وان كان للرسول صلى الله عليه وآله وسلم عدة نسوة. وقد اتفق وفد النصارى على ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان كان قد اصطحب اهل بيته معه للمباهلة فهو صادق وسيغضوا الطرف عن المباهلة وهذا ما حدث حيث قالوا: نعطيك الرضا فاعفنا من المباهلة فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الجزية فانصرفوا.

هناك أكثر من تساؤل يطرح نفسه: لماذا هذه الدعوة الالهية بأن تشارك المرأة (من كلا الجانبين) في المباهلة؟ هذه الدعوة التي جاءت في زمن قال قائلهم (والله انا كنا في الجاهلية لا نقيم للنساء وزناً حتى انزل الله فيهن ما انزل وقسم لهن ما قسم)[2] لها أكثر من دلالة وأكثر من اشارة:

١ ـ في الامر الالهي كانت الدعوة الى مشاركة المرأة اسوة بالدعوة الى مشاركة الرجل.. وهذا يدل بوضوح على اهلية المرأة المسلمة للمشاركة السياسية وان كان الامر يستتبع خطراً جلياً واضحاً تمثل في النتائج المترقبة من المباهلة.. ونجد تردد نصارى نجران عن الاشتراك

---

(١) الطوسي ـ التبيان ـ مجلد ٢ ص ٤٨٤.

(٢) فتنت مسيكة بر / حقوق المرأة بين الشرع الاسلامي والشريعة العالمية لحقوق الانسان.

في المباهلة وثبات الزهراء عليها السلام الى جنب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

٢ ـ الآية تشير الى مشاركة المرأة المسلمة للرجل المسلم في اللحظات الحساسة التي تتداخل فيها مصلحة الامة كلها.

٣ ـ وقد جاء في الرواية ان الزهراء عليها السلام كانت مقنعة أي انها حضرت بحجابها الاسلامي وهذا دليل على ان الحجاب لم يكن آنذاك وبعده عائقاً للمرأة المسلمة عن المشاركة في القضايا والشؤون السياسية والاجتماعية ويؤيد الفكرة القائلة ان الحجاب هو وسيلة لتسهيل اداء المرأة لادوارها الحياتية في اجواء بعيده عن الاثارة الغريزية والفتنةِ والفساد. وان كنت افضل ان تبدل تسمية الحجاب الى كلمة ستر.

٤ ـ كان للرسول صلى الله عليه وآله وسلم زوجات كثيرات ولكنه اخذ معه ابنته الزهراء عليها السلام وهذا دليل على كفاءة الزهراء للمشاركة السياسية اولاً ودليل ايضاً على ان حضور المؤتمرات السياسية والمشاركة في صنع القرار السياسي والتي تمثل من اولويات العمل السياسي بحاجة الى الشخصية الكفوءة القادرة على اداء الدور المطلوب منها وبتعبير آخر ان هناك حاجة الى المرأة المسلمة التي تمتلك وعياً سياسياً اسلامياً خالصاً يؤهلها لهذه المهام..

وهنا يطرح سؤال: لو اقيم مؤتمر ما وتراجعت المرأة المسلمة الواعية عن المشاركة فيه لنصرة الاسلام والمسلمين واظهار موقعيته العالمية في عصر الاختراق الثقافي فمن الخاسر يا ترى؟ أ ليست هي امة الاسلام نفسها؟ لاننا بذلك نخسر منبراً اعلامياً ومحطة ارشادية قادرة على محو

الضباب عن مرآة الاسلام، ولأنه لابد وان (تملأ الكراسي) فسيؤتى بمن هم اقل كفاءة أو من يعيشون الحقد الاسود للاسلام لسد المقاعد الاسلامية؟!.

٥ ـ لم يكن مؤتمر المباهلة مؤتمراً مقصوراً على النساء فقط أي انه لم يكن مؤتمراً نسائياً خاصة لا في افراده ولا في موضوعاته بل كان مؤتمراً سياسياً عاماً دُعيت فيه المرأة الى جوار الرجل في الحضور فيه وفي هذا دليل على ان لقاء المرأة بالرجال مسموح في موارد الضرورة والحاجة وخاصة اذا كانت هذه الموارد تعود بالنفع العام لامة الاسلام.

وترى الكثير يرفض مشاركة النساء في المؤتمرات وربما يأتي هذا الرفض خوفاً من المنافس الجديد ـ كما يتصور الرجل ـ لموقع السلطة الذكورية وربما يأتي لعشعشة الافكار الجاهلية في دونية المرأة وعدم اهليتها، وان كان الله تعالى قد دعاها الى امور كهذه.. فهل نستطيع ان نقول لا؟

٤ ـ القرار السياسي

تشكل عملية صنع القرار السياسي مرحلة متطورة من مراحل التكامل الانساني ومن البديهي ان القرار السياسي تتداخل في صناعته وصياغته عوامل شتى وظروف عديدة وقد تكون من اصعب القرارات السياسية تلك التي تمس ظواهر اجتماعية متراكمة منذ دهور لتشكل تخلفاً اجتماعياً يكاد يكون راسخاً راسباً في عقلية ابناء المجتمع نفسه خاصة اذا كانت دعائم ذلك المجتمع ترسم ظواهر قائمة على سحق

هوية وماهية افراد من المجتمع لتتلائم الحالة الجديدة مع اهواء بعض الافراد حينئذ يكون التغيير الاجتماعي (والذي هو اصعب انواع التغيير) امراً صعباً مستصعباً وبحاجة الى وعي وجرأة وشجاعة اكثر.. واذا كانت هذه الظاهرة السيئة تمس الكائن المستضعف المنبوذ في المجتمع المجرد من كل الحقوق والصلاحيات الانسانية حينئذ قد يظن البعض ـ ولعله صحيحاً ـ ان التغيير الاجتماعي امراً مستحيلاً، ولكن قبل هذا لابد ان نسلط الضوء على الظاهرة الاجتماعية السيئة لنعرف انها سيئة وانها موجودة وانها عامة لا تشمل فرداً واحداً.. وهذه العملية ليست سهلة ابداً انها تحتاج الى معرفة واضحة تستطيع التميز بين الحق والباطل والى ذكاء سياسي وفطنة عالية ترسم طريق التغيير الذي لابد وانه سيكون جباراً لأنه عملية تحدي لتراكمات اجتماعية متتالية. والذكاء السياسي لابد وان يحدد الفئة القادرة على التغيير فرداً أو جماعة والتوجه اليها لرسم صورة الاصلاح.

امور عديدة متداخلة فيما بينها واول ما تحتاج اليه الجرأة والشجاعة تلك الصفة المسروقة من كيان المرأة الانساني ولأن كان رسول الله ﷺ قد اشاد بموقف اسماء الانصارية وافدة النساء تسأله عن جهاد المرأة واجرها[1] فاعتبر رسول الله ﷺ كلامها صحوة جديدة

---

(١) في المأثور ان اسماء بنت يزيد الانصارية اتت الرسول (ص) وهو بين اصحابه فقالت له بأبي انت وامي اني وافدة النساء اليك واعلم نفسي لك الفداء انه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا إلّا وهي على مثل رأيي ان الله بعثك بالحق الى الرجال والنساء فآمنا بك وبالهك الذي ارسلك وانا معشر النساء محصورات مقسورات قواعد بيوتكم ومقتضى شهواتكم وحاملات اولادكم وانكم معشر الرجال فضلتم علينا

تنبىء بظهور المرأة الباحثة عن الرصيد الاخروي عبر المشاركة في البناء الاجتماعي والسياسي والسعي الى تثبيت دعائم عقيدة التوحيد.

فأن تحاور خولة بنت ثعلبة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي تشكو عرفاً اجتماعياً متراكماً اسوداً يهضم حقوق المرأة ويسحق انسانيتها ويشمل افواجاً من النساء، كشف عن نضج سياسي جديد في الاصلاح العام و اظهر شخصية المرأة التي تجد الشجاعة لتسلط الضوء على العرف الخاطئ. تلك التي تقول ان هذه الظاهرة ظالمة، افق جديد في وعي المرأة السياسي والاجتماعي والثقافي. لقد اجمع المؤرخون ان سبب نزول الآيات من سورة المجادلة:

﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير.. الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم إلّا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وان الله لعفو غفور﴾.

على انها نزلت لالغاء عرفاً اجتماعياً ظالماً.

ففي الدر المنثور اخرج ابن ماجه وابن ابي حاتم والحاكم وصحيحه وابن مردويه والبيهقي عن عائشة: اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة

بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وافضل من ذلك الجهاد في سبيل الله وان الرجل منكم اذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم اموالكم وغزلنا لكم اثوابكم فما نشارككم في الاجر يا رسول الله.

التفت النبي (ص) الى اصحابه وقال هل سمعتم مقالة امرأة قط احسن من مساءلتها في امر دينها من هذه فاجاب الصحابة يا رسول الله ما ظننا ان امرأة تهتدي الى مثل هذا. الدر المنثور ح ٢ ص ١٥٣.

وهي تشتكي زوجها الى رسول الله ﷺ وتقول: (يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو اليك فما برحت حتى نزل جبرئيل بهذه الآيات)[1].

ولأن اختلف في اسم المرأة وزوجها فهذا لا يـؤثر عـلى مـضمون الامر لقد كان بامكان هذه المرأة المسلمة ان تعيش حالة الالم لوحدها كباقي المسلمات ولا تشكي حالها الى القيادة الصادقة أو ربما تشكـي لصويحباتها كما تفعل الكثير من النساء حيث لا تحصل من ذلك سوى مضاعفة الهم، ولكنها ملكت الشجاعة فجاءت واشتكت من العـرف الذي كان باقياً بعد نزول القرآن وكان لابد من التصحيح.

والعجب الاعجب من ذلك ان شكوى هذه المرأة تتحول الى آيات بينات، لقد ارادت الارادة الالهية ان تعلم الانسان مفهوماً جديداً من مفاهيم الحياة السياسية ألا وهو حرية الرأي واحترامه بالسماع ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ ثم الاصلاح الالهي العاجل، فما ان كمل كلامها حتى نزل جبرئيل بالآيات دليل واضح على ان الحاكم العادل يسمع لشؤون رعيته ويقرر قراراً عادلاً وعاجلاً في آن واحد لا يؤخره لأن التأخير مفسدة للاصلاح.

نعم لقد احترم الاسلام رأي المرأة وهذا دليل على احترام حقوقها بالكامل فلا يبخس منه شيئاً ولا يعطي شيئاً ويحذف آخر.

(لقد قرر رأيها وجعله تشريعاً عاماً خالداً لتعلم ان آيات الظهار واحكامه في الشريعة الاسلامية وفي القرآن الكريم وان سورة المجادلة لم

---

(١) الطباطبائي /الميزان /ج ١٩ /ص ٢٠٨.

تكن إلّا اثراً من آثار الفكر النسائي وصفحة الهية خالدة نلمح فيها على مر الدهور صورة احترام الاسلام لرأي المرأة. وان الاسلام لا يرى المرأة مجرد زهرة ينعم الرجل بها بشم رائحتها وانما هي مخلوق عاقل مفكر له رأي وللرأي قيمته ووزنه)[١] ولو ان كل امرأة قد اشتكت بخس حقوقها الشرعية امام حاكم عادل لا يبخس الناس اشياءهم ولا يعطل الاحكام والحدود ولا يراوغ للتخلص من الحق فاني لا اظن ابداً انه ستكون هناك امرأة مظلومة أو عرف خاطئ أو ظاهرة مقيتة، وهذا هو الاصلاح في اعلى درجاته. وهنا سنبدأ في البحث ليس فقط عن المرأة الشجاعة الذكية بل عن الحاكم العادل!!

٥ ـ الاصلاح السياسي

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم * وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾

(التوبة ٧١ ـ ٧٢).

هذه الآيات قد تكون من اهم الآيات الصريحة الواضحة التي تحدد دور المرأة المؤمنة في الحياة الاجتماعية كلها، واذا سلمنا نحن باعتبار ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من المسؤوليات الجسام في الاسلام

---

(١) محمد شلتوت / الاسلام عقيدة وشريعة / ص ٢٢٧.

والتي يتضح فيها الامر الالهي بالاستمرار فيها باعتبار صيغة الحال التي جاءت بها الكلمات المباركة (يأمرون - ينهون) فان الآية تبين بوضوح وبدون أي ضباب ان هناك دوراً مطلوباً من المرأة لكنه ايضاً ليس دوراً متميزاً بل هو دور مماثل لدور الرجل، فالآية لم تعزل الاثنين عن بعضهما في نصرة احدهما الآخر أو في القيام بالادوار المهمة منهما بل جعلت بين الطائفتين تعاضد وتعاون ورسمت لهما هدفاً واحداً في الحياة هو ردم السلبيات التي سماها القرآن الكريم بالمنكر وبناء الايجابيات وهو (المعروف) وبهذا حدد الاسلام للمرأة مسؤولياتها الانسانية التي تطال الحياة العامة انه يدعوها وبكل صراحة الى المشاركة في التغيير. ويحصر البعض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في اطار الاسرة الضيق، وهذا وان كان احد مساحات هذا الركن المهم لكنه ليس كله بل هو جزء يسير منه وإلّا فلم الحاجة الى دعوة المؤمنين ايضاً الى النصرة والتعاون مع النصف الآخر؟

يقول محمود شلتوت:

ان مسؤولية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هي اكبر مسؤولية في نظر الاسلام وقد سوى الاسلام فيها بصريح هذه الآيات بين الرجل والمرأة، اذن فليس في الاسلام ان تكف المرأة عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتماداً على ظن أو وهم انه شأن خاص بالرجال دون النساء.

وليس من الاسلام ان تلقي المرأة حظها من تلك المسؤولية على الرجل وحده بحجة انه اقدر منها عليه أو انها ذات طابع لا يسمح لها ان تقوم بهذا الواجب. فللرجل دائرته وللمرأة دائرتها والحياة لا

تستقيم إلّا بتكاتف النوعين فيما ينهض بامتها فـان تخـاذلا أو تخـاذل احدهما انحرفت الحياة عن سبيلها المستقيم فليعلم ذلك نساؤنا وليفقهن حكم الله فيهن[1].

الآية هنا توضح ان النهضة الاجتماعية لا يمكن ان تحصل بـتعطيل نصف المجتمع عن فهم الدور المناط فيه وإلغاءه حينئذ حتى لو اراد أي مجتمع النهوض فانه سينهض بساق مبتورة وسيتلكأ عـند مـواصـلة السير برجل عرجاء ولو لاحظنا الادوار التاريخية للمرأة لوجدنا انها ساهمت في عملية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باشكال وصـور متعددة بل كانت هناك مشاركات واضحة للنساء المسلمات في مواقع لم يكن فيها الرجال أو كانوا بعيدين عن ذلك وأبسط مثال على هذا الامر هو وقائع الوافدات على معاوية وجرأة الواحدة مـنهن في رد المـنكر ودعم المعروف.

واذا قلنا نحن ان ابشع انواع المنكر هو الحاكم الظالم والقانون الفاسد لتبين لنا ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يتطلب مشاركة النساء بوضوح في هذا الامر وكلنا نرى ان التغيير الاجتماعي يسـير اوضـح واسرع اذا رافقه تغيير القوانين السياسية الحاكمة في بلد أو ازالة الحاكم الظالم الذي اصطلح عليه القرآن باسم الطاغوت وابـرز صـورة له في القرن الماضي في الاستعمار الذي استوطن البـلاد الاسـلامية، وامـور الزواج والطلاق والحضانة وعمل المرأة كلها امور اجتماعية ولكن حينما يكون القانون المتصدي لهذه الامور نازلاً من فوق، من القوة السياسية

---

(١) محمود شلتوت / الاسلام عقيدة وشريعة / ص ٤٢٥

الحاكمة فانه يكون امراً الزامياً على الجميع وسيكون حجة تجعل المتخلف عنه عرضة للعقاب. فالمسألة الاجتماعية وكذلك الثقافية في كل المجالات ومناهج التدريس وكذلك الاخلاقية في الاباحية والمجون أو التطرف هذه كلها امور اجتماعية تحتاج الى ركائز عليا. هنا تظهر اهمية الاصلاح السياسي وخاصة في اصدار قوانين الاحوال الشخصية التي بدأت في البداية شيء من ركام الاستعمار ثم سارت معه نحو العلمانية بعيداً عن شريعة الاسلام ودستوره الواضح في القرآن الكريم، واذا كان الاصلاح السياسي يحتاج الى عملية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لترشيد الاصلاح فسنقول حينئذ ان الاصلاح السياسي هو نفسه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وللمرأة دور لا يقل ابداً عن دور الرجل منه.

في هذا النص المهم قرر القرآن ان المرأة مسؤولة مع الرجل عن اصلاح الواقع وعمارة الارض فالرجال والنساء فيه اولياء بعضهم ليسوا ذكراً أو انثى ولا سيداً أو مسوداً ولا جنساً اعلى وآخر ادنى ولكن كلاً منهما معين للآخر وناصره في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أي انهم جميعاً مسؤولون عن اصلاح المجتمع وتقويمه ومن ثم عن تقدمه والنهوض به الامر الذي يستلزم انتشاراً واسعاً متكافئاً في كافة ميادين التربية والتنمية والتوجيه ولكي تنهض المرأة بواجبها في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلابد ان تتسلح بما تقتضيه تلك المسؤولية الكبرى من علم وخبرة ليس ذلك فحسب وانما لابد لها ان تكون هناك

في قلب موقع الاصلاح وشريكة في اتخاذ القرار[1].

ويقول حسن جابر:

(اذا كانت المسألة تطال المناخ السياسي والفكري العام فالمرأة بامكانها لعب دور ما في بلورة الحركة السياسية واطلاقها والضغط عليها لمصلحة الموقف الاسلامي)[2].

ولما كانت سبل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متعددة فان هذا الامر سوف يتيح للمرأة المؤمنة المشاركة الأوسع لانها تستطيع ان تستفيد من الفرص المتاحة لها بما يتناسب مع قدرتها، وبهذا سيكون لها وجوداً متنوعاً تستطيع من خلاله دعم الايجابيات وردم السلبيات.

ولما كانت الحياة الاسلامية في المجتمع حياة موجهة فأن الجميع يشارك نحو هدف واحد هو التوجيه نحو العقيدة الالهية وتحكيم مبدأ الخلافة في الارض، والمرأة غير مستثناة ابداً فقد الغت الآية كل اسباب التفاوت على أساس الجنس ووحدت الجميع للسعي نحو عمل واحد ليدل بذلك على انهم مع كثرتهم وتفرقهم من حيث العدد ومن الذكورة والانوثة ذو كينونة واحدة متفقة لا تشعب فيها ولذلك يتولى بعضهم امر بعض[3].

لقد استطاع الايمان في مضمونه ان يركز المجتمع المؤمن من النساء والرجال الذين حملوا مسؤولية العقيدة على اكتافهم وتحملوا كل

---

(١) نصر حامد ابو زيد / دوائر الخوف. قراءة في خطاب المرأة / ص ١٩٩ عن فهمي هويدي.

(٢) حسن جابر / مجلة المنطلق / عدد ٦٠ ص ٦٩.

(٣) مجلة الكلمة ـ ص ٢٨٩.

نتائجها على صعيد الواقع بكل هدوء واطمئنان. وذلك هو ما يريد الله ان يثيره في اجواء المؤمنين والمؤمنات على مدى الزمن فيما يستقبلهم من اجواء واوضاع فقد ينبغي لهم ان يعيشوا مثل هذه الولاية القائمة على أساس متين من الخط المستقيم والهدف الواضح في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

العلاقة اذن بين المؤمنين والمؤمنات ليست علاقة (زمالة أو رفاقة) كما نرى في الهيئات السياسية المعاصرة، مما قد يبعد الاثنين عن معنى الاخوة (انما المؤمنون اخوة) الى دائرة الصداقة والرفاقة والزمالة والتي قد توحي باثارة الجو الغرائزي القائم على جنسية الفرد بعيداً عن مظاهر العفة التي دعا اليها الاسلام من خلال تواجد المؤمنين والمؤمنات معاً في (علاقة الولاية المنفتحة على المسؤولية في مواجهة الانحراف الاجتماعي والسياسي والعقيدي المتمثل في اهمال المعروف وتشجيع المنكر وذلك باقامة الصلاة وايتاء الزكاة واطاعة الله ورسوله في كل شيء مما تتضمنه رسالة الله في حركة العقيدة في مفاهيمها وامتداد الشريعة في احكامها وذلك هو وحده الذي يمنحهم رحمة الله ويدخلهم جنته الخالدة في نعيمها ويرفعهم الدرجة الكبرى)[١].

وفي وقتنا الحاضر نرى تكالب الشرق والغرب وتظافر الجهود واتحادها من اجل دحر الاسلام والترويج للمنكر في مجتمعاته وازاحة المعروف أو قوقعته أو نعته بشعارات شتى، نجد اهمية التكاثف الجماعي الذي يظهر قوة المسلمين ويسمو بهم نحو الاهداف العامة لقد رسم

---

(١) محمد حسين فضل الله / المنطلق / عدد ٦٠ / ص ١٦.

الاسلام (للمؤمنين والمؤمنات) على حد سواء طريقة التحرك الاجتماعي عبر (غض البصر ـ الحجاب ـ لا يخضعن بالقول.. لا يخلو الرجل بامرأة اجنبية) وغيرها الكثير وبذلك تتجلى صورة المجتمع الفاضل الذي يسمو بالانسان نحو انسانيته بعيداً عن الصورة الغربية التي جعلت الانسان لا ينظر إلّا الى الجنسية المقابلة ولهذا تجد للمرأة ادواراً يندى لها الجبين في الهيئات السياسية العلمانية والغربية مثلاً عبر الاباحية والجنس والاثارة للحصول على الاسرار أو اداء العمليات الموكل اليها، دور هامشي وانوثة مسحوقة، في دائرة الشيطان القاعد على الصراط المستقيم.

ولا ادري هل وصلنا الى يقين باهمية حضور المرأة ومشاركتها في هذه العملية الجسيمة التي لا تستطيع التغاضي عنها أو التقاعس عنها باعتبارها من فروع الدين كالصلاة والصوم؟. ام اننا مازلنا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعضه؟!

وقد يقول قائل ان الامومة هي الدور الرئيسي للمرأة في بناء الانسانية؟ والذي نقوله ان لا تعارض بين الدورين فها هي الام الفلسطينية تهب الحياة اجيالاً تلو اجيال من الفدائيين والثائرين الرافضين لوجود اسرائيل وترى انتفاضة القدس يتسابق فيها الصغار والفتيان امة جديدة تصنع نصراً جديداً يجعلها في موقف الاجلال الذي ما حظى به كبار الناس وسادتهم. أليست هذه هي الامومة المرتجاة في ظل العقيدة السمحاء؟ ثم من قال ان المطلوب (استقالة المرأة) عن دورها الامومي الذي هيأ الله تعالى له اسباب الوجود لكي تكون هي صانعة الشعوب؟ ولن يضر المرأة اسهامها بشيء من وقتها

لدعم المستضعفين في الارض ونصرة المظلومين واثارة الاجواء السياسية في وجه الظالمين وسنتكلم عن هذا فيما بعد.

وفي نهاية الآية نجد المساواة في الاجر: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾.

فلما كانت المسؤولية الدينية واحدة فلِم يكون الاجر متفاوتاً؟ هذا الامر الواضح في التشكيلات والهيئات المعاصرة ولكنه لن يجد موضعاً في عدالة الله المطلقة، انه يمنحها من الاجر ما يمنحه للرجل دون فرق على حساب الجنس مادام الاثنين قد ادوا اعمالهم وفروضهم ولم يتقاعسوا عنها وكم كان من المجحف حقاً ان يكون للمرأة دور واضح في حركة التحرر العربية ولكنها هُمشت بعد انتهاء الحاجة اليها ووضعت ادوارها السابقة في خبر كان.

الحقوق السياسية للمرأة المسلمة

وقبل ان نكمل حديثنا عن اهلية المرأة للعمل السياسي في ضوء آيات القرآن المجيد نحن بحاجة الى وقفة قصيرة امام الحقوق التي تعطيها هذه الآيات:

١ ـ فآية البيعة منحت المرأة حق التصويت والانتخاب، الحق الضائع الآن للمرأة المسلمة في كثير من بلاد المسلمين والحق المسروق ايضاً عن المرأة غير المسلمة في بقاع اخرى.

٢ ـ وآية الهجرة منحت المرأة حق اللجوء السياسي، الحق الذي منحته الامم المتحدة عام ١٩٤٨.

٣ ـ وآية المباهلة منحتها حق المشاركة في المؤتمرات السياسية والهيئات والتنظيمات وبما يصطلح عليه الآن مسيرات التأييد والرفض والاعتصابات وغيرها.

٤ ـ وآية المجادلة تجعل الحاكم الصالح مكلفاً بالاستماع الى شكاوى الرعية وتمنح المرأة حق المشاركة في صنع القرار عبر ابداء الرأي في القضايا المطروحة والمعاصرة.

٥ ـ وآية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تثبت الادوار الاجتماعية للمرأة والرجل ومسؤوليتها الشرعية امام الاصلاح بكل انواعه وتؤكد على واجبات المرأة السياسية.

هذه حقوق موجودة في الكتاب المبين منحها الله تعالى ولا ادري لماذا سرقت وهمشت واهملت وبالتالي أُسيء فهم الاسلام وتمرد عليه الكثيرون لأنه ظلم المرأة وهو رافعها الى اعلى مقام الانسانية المقدسة.

٦ ـ الملكية الديمقراطية

[لا ادري لماذا اراد الله تعالى ان يسطر في آياته الخالدات قصة بلقيس ملكة سبأ لتبقى مدى الدهر شاهداً حياً على (الملكية الديمقراطية) لقد صور لنا القرآن الكريم قصة الكثير من الملوك الطاغين المعاندين للحق وللآيات البينات، ولكنه حينما يعرض حكاية ملكة سبأ فانه يصور لنا باسلوب فني رائع كيف ساقت تلك الملكة قومها الى حسن العاقبة لها ولهم، وكأن القرآن الذي نزلت آياته في وقت كانت توأد البنت فيه وتحسب على انها عار اسود اراد ان يقول ان هذه المخلوقة المنبوذة لقادرة على ان تحكم وتكون افضل من الرجال انفسهم

الذين وجد منطقهم في قولهم قالوا ﴿نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين﴾ (النمل / ٣٣). بينما ارتأت هي التريث ريثما تستبين حقيقة سليمان عليه السلام وتعرف ان كان نبياً أو ملكاً.

وكأن القرآن يبين حقيقة اخرى ان القوة العضلية ليست هي الحل المنطقي في كثير من الامور وخاصة في الشؤون السياسية باعتبار انها قد تؤدي الى حرب ودمار وابادة نسل من البشرية.

يقول الزمخشري في الكشاف[1]:

نحن اولوا قوة أي قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد والبأس والنجدة والبلاء في الحرب والامر اليك موكول اليك ونحن مطيعون لك فرينا بامرك نطعك ولا نخالفك، كأنهم اشاروا عليها بالقتال أو ارادوا ونحن من ابناء الحرب لا من ابناء الرأي والمشورة وانت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك؟.. فلما احست منهم الرأي الى المحاربة رأت من الرأي الميل الى الصالح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولاً ما ذكروه وأوضحت الخطأ فيه (ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهراً (افسدوها) أي خربوها واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها).

وهنا تظهر لنا قوة التحليل السياسي الذي كانت تتمتع به بلقيس، فهي لم تصمم على القتال ابداً واستشارت قومها من باب (الديمقراطية) فاستقر تفكيرهم على استعمال منطق القوة دون استجلاء عاقبة الامور، ويعلق سيد قطب رحمه الله على اعراضها عن الحرب وتفكيرها في

---

(١) الكشاف / ح ٣ / ص ٣٦٥.

استبيان شخصية سليان (ع) فيقول[1]:

﴿والامر اليك فانظري ماذا تأمرين﴾. (النمل / ٣٣)

(وهنا تظهر شخصية المرأة من وراء شخصية الملكة. المرأة التي تكره الحروب والتدمير والتي تنضي سلاح الحيلة والملاينة قبل ان تنضي سلاح القوة المخاشنة). وربما حقاً ـ والله اعلم ـ هو اشارة الى عجينة الرحمة والحنان في شخصية المرأة ـ الانثى ـ أو كما يقول بعض الفلاسفة ان المرأة هي تجلي لشيء من رحمة الله في الارض، أياً كان فهنا تظهر بعض محاسن الشخصية الانثوية التي لا يراها الآخرون إلّا نقصاً في المرأة لا اكثر. وقد اشترك مع عباس محمود العقاد حينما يقول ان الامور السياسية لا تعني الحروب دائماً بل ان العصر الحديث لا يحتاج الى مزيد من القسوة والفظاعة بل يحتاج الى مزيد من العطف والمعونة.

ولكنها ايضاً ليست دعوة الى حاكمية المرأة، واني يكون ذلك وهي لم تحصل بعد على ادنى من ذلك بكثير من حقوقها الضائعة. الحقوق التي منحتها لها رسالة السماء كي تظهر الى الوجود شخصية المرأة الانسان القادر على المشاركة في صناعة الحياة وصياغة قرارتها، ولا ادري لماذا يصف الحسن البصري بلقيس بالعلجة كما ورد في تفسير ابن كثير.

عن الحسن البصري قوله: فوضوا امرهم الى علجة تضطرب ثدياها فلما قالوا لها ما قالوا كانت هي احزم رأياً منهم واعلم بامر

---

(١) سيد قطب / في ظلال القرآن / ح ١٩ / ص ٢٧٧.

سليان وانه لا قبل لها بجنوده وجيوشه وما سخر له من الجن والانس والطير[1].

لا ادري هل اراد بكلمته هذه الاشارة الى نظرة المجتمع الى المرأة بانتقاصها باعتبارها (علجة) أو بالتعريض لضعف خلقها (تضطرب ثدياها) ـ تبارك الله احسن الخالقين ـ ليقول ان هذه (المنبوذة) افضل رأياً من كثير من الرجال والملوك والقادة.

وعلى أية حال فقصة بلقيس الملكة التي آمنت مع سليان تكشف لنا عن جوانب عديدة واهمها قدرة واهلية المرأة على ان تشارك في الامور السياسية ولو في اعلى المراتب والقرارات وكلنا يعلم ان بلقيس كانت حاكمه لوحدها ليست مع زوج أو اب تستشيره ولكنها نجحت حتى في اصعب الظروف.

والامر الآخر ان القرآن الذي ذم فرعون ونمرود وغيرهما تراه لا يطعن في بلقيس ابداً بل انه حتى لا يقول انها كانت كافرة بل ﴿انها كانت من قوم كافرين﴾ (النمل / ٤٣). ولا ادري هل هو للحفاظ على الصورة الزاهية للمرأة ـ الانثى الحاكمة ام هو اشارة الى انها لم تكن تمتلك القناعة الكافية بافكار قومها وعقيدتهم وكانت تعيش ظمأ عقائدياً اطفئت ناره بايمانها مع سليان لتكتب لنفسها ولقومها حسن العاقبة، بغية كل مؤمن.

ثم انه يصور لنا ديمقراطية الحكم واتباع مبدأ الشورى ـ وهو نفس المبدأ القرآني ـ فلم تكن حكومتها مستبدة أو ظالمة بل كانت حكومة

---

(١) ابن كثير في تفسيره / ج ٥ / ص ٢٣٣.

ديمقراطية ناجحة يكفي ان نرى اشارة لها في قول كبار القوم لها ﴿والامر اليك فانظري ماذا تأمرين﴾ (النمل / ٣٣).

وبعد هذا فقد كانت بلقيس مثالاً للمرأة الملكة ذات الفطنة السياسية والذكاء السياسي الواضح الذي لم يفكر في منطق الذات المنفردة بل في منطق الجماعة كلها وبعد هذا ترى سعدي ابوجيب يفند هذه الصورة الوضاءة ـ الصورة القرآنية الخالدة ـ بقوله:

ها هي سجلات رؤساء الدول والحكومات والوزراء ورجال السياسة والادارة والقضاء بين ايدينا نقلبها كيف نشاء هل نجد فيها من النساء اللواتي نهضن باعباء تلك الاعمال ونبغن فيها إلا قلة قليلة وندرة نادرة جداً ولو وقفنا على سيرهن الذاتية لوجدنا تمزقاً في الذات نتيجة الصراع بين الفطرة التي فطرهن الله عليها وبين ما يتطلبه الحكم من واجبات[١].

ولا ادري كيف يثبت لنا الاستاذ الفاضل كيف ان كل امرأة حاكمة تعيش تمزقاً في الذات لمجرد انها تناولت قضايا السياسة في الوقت الذي يؤكد فيه غاستون بوتول ـ ويؤيده سيتوارت مل:

ان العهود النسائية تميزت عادة بروحها الطيبة فكانت عهوداً كبيراً[٢].

فكيف يكون الملك المتمزق الذات يحكم بروح طيبة وتكون دورته الملكية من الحقب الحياتية الجيدة؟.. ولأن ظهرت لنا بعض الهفوات أو

---

(١) سعدي ابوجيب / دراسة في منهاج الاسلام السياسي / ص ٥٨٣.

(٢) غاستون بوتول / سوسيولوجيا السياسة / ترجمة نسيم نصر / ص ٧٩.

الانتقاصات في سير بعض الملكات فعند ملوك الرجال ما هو أدهى وأمر، ولم يحدثنا التاريخ ابداً عن ملكة ابادت شعبها كما فعل نيرون أو عن ملكة ساقت قومها الى حروب مظلمة، واظن اننا مع قصة بلقيس الملكة بحاجة الى مرافعات طويلة.

٧ ـ ملك وملكة

حينما يضرب القرآن الكريم مثلاً للذين آمنوا فانه يرشد الجميع الى القدوة الحسنة التي يجب الاقتداء بها. وتعجب حينما ينطلق المثل من دار الملك والسلطنة فتكون الملكة الثرية المترفة هي المثال الاعلى ـ الخالد ـ للانسان الصالح على مر الدهور ويكون زوجها في عداد المنبوذين المطرودين من رحمة الله. وكأنه تعالى يريد ان يسلط الضوء على عناصر القوة في شخصية الانثى ـ الانسان فيصف ظاهرياً الصبر على العذاب الجسدي امام سياط الذكور القاسية ثم يصور عمق القوة الايمانية المخبوءة في القلب والتي تجلت في ذلك الموقف العصيب الذي انهى حياة الملكة على يد الملك الطاغية زوجها. وترى الكثير يشمأز من وجود المرأة السياسي واهتمامها بشؤون السياسة وهو يخشى المزاحمة للحفاظ على قيمومته الذكورية وينظر الى الانثى على انها احبولة من حبائل الشيطان سرعان ما تميل وتنحرف وانها لا تعرف إلّا السعي وراء المطامع والشهوات ووسائل النعيم والترف، ولا ادري لماذا لا نعيش التفكير نفسه نحو الرجل وقد شهد القرن العشرين احدى مآسي الرجال حينما ارتد عن دينه الاسلامي ليكون رئيساً لاحدى الدول في امريكا اللاتينية والتي يشترط دستورها أن يكون الرئيس الحاكم مسيحياً!!

وتعجب للملكة آسية التي ترفض كل اسباب الحياة لتبق في اطار التوحيد ويأخذك الوجل امام صورة التعذيب البشعة التي عذب بها الزوج زوجته وامام مرأى الناس ليجعلها عبرة للآخرين، فاذا بالله تعالى يسمو بها ليجعلها مثلاً للذين آمنوا على مر الاجيال والعصور وينعت زوجها الطاغية المتأله بكل الصفات السيئة ﴿وكنت من المفسدين﴾ كيف كسبت هذه الانثى الضعيفة تلك القوة القاهرة؟ وكيف علمت ارجحية موقفها وحقانية قضيتها؟ وكيف انبرت بكل اخلاص تشد الرحال الى دوائر القرب الالهي؟ اما استهواها المُلك الذي استهوى زوجها فهوى به في الحامية؟ ولِمَ لم تعش الحرص على الملك والجاه وعلى النعيم الفاني؟ وتراها حتى لما تُعذب ذلك العذاب الذي لا يطاق تنظر حولها الى بيتها الذي عاشت فيه اياماً طوال، تبق تداعبها صورة البيت فبين المرأة والبيت علاقة جذب قوية، ولهذا تظهر صورة الانثى في دعائها (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) تطلب البيت وربما هو شيء يعبر عن احساسات امرأة حيث يعتبر البيت مثاباً لها ولكنه شيء يتسامى ايضاً امام كل هذا العذاب القاسي الاليم!!

ها هي ذي تعلن صراحة براءتها من كل عمل لفرعون وتطلب النجاة منه ومن قومه الذين استحوذ عليهم الشيطان فانساهم الإله الحقيقي ليعبدوا صنماً بشرياً هو زوج لهذه الملكة الزوجة، ولكن هذه الزوجة وجدت في عقيدة زوجها كل السخف والحمق ولهذا لم تكن على دين زوجها تراها تمردت على بيتها وزوجها لتعلن عقيدتها بصراحة رغم المسامير الحارقة، وتعجب أكثر حينما ترى ان القرآن

الكريم وضع اسية الملكة الثرية الرافضة للعبودية الى جانب مريم المصطفاة المطهرة، وكأن الله تعالى يقول ان عبادة مريم قد اورثتها الاصطفاء وان صبر آسية قد أورثها الاصطفاء ايضاً لتكون قدوة. وكلاهما ارتقتا الى منصة سيدات نساء العالمين واحدة بدأت منذ البدء في بيت النبوة ولتكون محط رعاية الانبياء مع زكرياعليه السلام وواحدة عاشت في بيت الصنم البشري لكنها تحتوي النبي المطارد من قبل زوجها الاله.

﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون، اذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين، ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ (سورة التحريم / ١١ ـ ١٢).

وترى فرعون يصر على عرشه وتاجه وترى آسية ترفض العرش والتاج لتنطلق الى الله.

من قال ان الانثى ـ كل انثى ـ ضعيفة؟ أليست الانثى هي انسان تمنحها العقيدة الصادقة قوة عظمى مسددة بالفيض الالهي؟

لقد عاشت آسية التشخيص الصحيح للموقف المطلوب ولكنها لم تتراجع ابداً رغم ان ذلك كلفها كثيراً وفي هذا اشارة خفية وواضحة لمن اعتبر.

الاهلية التاريخية لعمل المرأة السياسي

ترى هل كان هناك وجود سياسي ومشاركة سياسية للمرأة عبر التاريخ؟ ربما يتسرع الكثير بالاجابة فيلغي كل اشتراك للمرأة في الحياة السياسية على مر التاريخ القديم والحديث والاسلامي وتاريخ النهضة، ولكن لو قلنا لا، في هذه الاجابة غبن كبير ليس للمرأة فقط بل للتاريخ ايضاً. فالحياة الانسانية بدأت بتعاون واضح وجلي بين الرجل والمرأة لإعمار الحياة واداء الدور الاستخلافي للانسان على وجه الارض. وكانت هناك بعدها صور للنساء المؤيدات والمعارضات للحكومات والحكام ولعل صورة آسية التي تمثل قمة الاضطهاد السياسي والمعارضة السياسية للحاكم الإله والزوج ايضاً صورة تعبر عن شموخ النفس الانسانية المتلبسة بلباس الانثى، ولا ينكر احد ابداً وجود الملكات قبل الاسلام وقد قص علينا القرآن الكريم قصة الملكة الديمقراطية بلقيس وأظهر صورة الحب والولاء (والشعبية) التي كانت تمتلكها، صورة تاريخية شامخة تدل على اهلية المرأة الكاملة في الشؤون

السياسية وكانت هناك زنوبيا ملكة الشرق والتي قادت الفتوحات العظيمة ولم تقف انوثتها رادعاً لها عن مهاجمة الامبراطورية الرومانية. وكانت قبلها كليوباترا، مثلاً في الأباء وحتشسبوت وغيرهن كثيرات. نساء وصلن الى مراكز صنع القرار بالوراثة لا عن طريق الانتخاب والتصويت وربما لو لم يكن الامر كذلك لما وصلت واحدة ـ كما اظن ـ لضيق النظرة الانسانية حول المرأة[1]. ولكن وصولهن الى اعلى مراتب الحكم شاهد شهيد على استطاعة المرأة مشاركة الرجل في كثير من شؤون الحياة، وحتى في القرون الوسطى كانت هناك الملكات اللائي حكمن الممالك الكبيرة كانكلترا وفرنسا وروسيا وغيرها وتميزت عصورهن بانها من افضل العصور، فقد كان يسمى عصر الملكة فيكتوريا بالعصر الفيكتوري وكان من أكثر العصور ازدهاراً اوصلت المملكة الى اوج عظمتها. وكذلك الملكة ايزابيل وكاترين في روسيا والتي ينقل حولها، (ان الشعب احبها بقدر ما كره زوجها لشذوذه ولعدم جدارته في الحكم وكانت مثقفة وذكية حتى لُقبت بكاترين العظمى)[2].

ونتساءل نحن ونقول هؤلاء نساء وصلن الى مراكز صنع القرار فأين هي المرأة المسلمة؟ أو بعبارة أدق ما هي المشاركة التاريخية للمرأة المسلمة في الحياة السياسية؟ واستطيع القول بوضوح ان المرأة المسلمة لعبت دوراً واضحاً في الحياة السياسية ابان صدر الاسلام

---

(١) اللهم إلّا في الحضارة المصرية التي كانت من أكثر الحضارات القديمة احتراماً للمرأة.

(٢) ستيورات مل ـ استعباد النساء ص ١٠٩.

وبعده وحتى في التاريخ المعاصر تسجل لنا مواقف مشرفة للمرأة التي استطاعت ان تجاهد في طرد الاستعمار من بلاد المسلمين من خلال حركات التحرر العربية وكذلك في ايران حيث أسقطت امبراطورية عظمى يشار لها بالبنان ومازلنا نرى جهاد المرأة الفلسطينية لطرد الوجود اليهودي الغاصب للقدس. صورة واضحة كاملة تعبر عن اهلية كاملة وقدرة تامة على صناعة الاحداث والقرارات وعلى تهيئة المسير التحرري الى امام رغم الدماء والجراح. وهذه كلها مواقف تحمد عليها المرأة. فما بال الكثير لا ينصفها ويرى انها للحجر فقط وانها دون الرجل في الفهم والمسؤولية.

أولاً: الحياة السياسية للمرأة المسلمة ابان صدر الاسلام

١ـ التأييد السياسي

ما ان نزل الوحي من السماء مع آيات الكتاب المبين حتى ظهر التيار المؤيد والمعارض للرسالة الالهية ومن البديهي ان يقود التيار المعارض اناس يخافون ضياع الكراسي التي يجلسون عليها. بعد ان غمر قلوبهم الخوف من الدعوة الجديدة الداعية الى تطهير الارض من الاصنام الحجرية والبشرية على حد سواء. وترى امام هذا الكيل المتلاطم من الوجود المعارض حفظاً على الكيان السياسي الذي تصوروه ـ لسذاجته وجهله ـ ان الاسلام سيمحوه، تجد امرأة تهب لتأييد الرسول والرسالة، وتسعى سعياً حثيثاً للدفاع عنها وعن اصحابها وتهب المال والثروة التي جمعتها في سنين طوال لتنفقها على الدعوة الجديدة حتى تقضي اخريات عمرها تتقلب على اطهار الطوى مع باقي المسلمين الفقراء. فكيف سمت تلك المرأة ـ الانثى الى الصورة التي جعلتها تشخص الحق من الباطل وتؤمن رغم الحراب المسلولة وتواصل الطريق رغم انه ذات الشوكة، أليست هذه قدرة نسائية عظمى مخبوءة في ذلك الجسد الضعيف الخاوي القوي بالعقيدة والايمان؟

هكذا كانت خديجة بنت خويلد الاسدي المسلمة الاولى والمحامية الاولى ايضاً والتي ساهمت بمالها كله في مشروع الانفاق السياسي حتى يصلب عود الاسلام ويقوى.

كانت عليها السلام وزيراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومستشاراً له وكانت كمثل

وزارة المالية والخدمات الاجتماعية في عصرنا.

لقد استطاعت السيدة الاولى في الاسلام ان تسجل نقلة حضارية مميزة في تاريخ تحرير المرأة تحريراً فكرياً وفي تاريخ تطوير الفكر الديني تطويراً عقائدياً[1].

ترى هل تمردت خديجةعليها السلام على انوثتها او بتعبير أدق هل كانت الانوثة حاجباً لها عن المشاركة السياسية؟ ام انها انطلقت من دائـرة الانثى المسلمة الانسان المدعوة للـمشاركة في اعـمار الارض ودعـم عقيدة التوحيد.

انها لم تكن لتخرج في دورها من دائرة المرأة الى دائرة الرجل وانما كانت في كل مراحل حياتها تؤدي دورها الرسالي بالانسجام التام مع طبيعتها الانثوية حتى نالت الكمال المعنوي بل قل الكمال الرسالي[2].

لقد كانت صديقة هذه الامة المرأة المـؤمنة الصـابرة التي شـاركت الرسولصلى الله عليه وآله وسلم دعوته ومحنته حتى قال عنهاصلى الله عليه وآله وسلم: امنت بي اذ كفر الناس وصدقتني اذ كذبني الناس وواستني بمالها اذ حرمني الناس[3].

نستطيع القول اذن ان خديجةعليها السلام كانت المؤيدة السياسية والدينية الاولى لدعوة الرسول. وكانت المرأة السياسية الاولى التي تبقى صورتها شامخة مدى الاجيال تبين عظمة المرأة لمّا تشارك في تحريك المجتمع نحو عقيدة التوحيد.

---

(١) فتنت مسيكة بر / ص ١٨٥. حقوق المرأة بين الشرع الاسلامي و الشريعة العـالمية لحقوق الانسان.

(٢) مجلة المنطلق / العدد ٦٠ ص ٨٥.

(٣) العسقلاني / الاصابة في تمييز الصحابة / مجلد ٤ / ص ٥٣٧.

ولأن كانت خديجة عليها السلام قد آمنت والى جوارها زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد كانت هناك الكثير من النساء اسلمن رغم معارضة الزوج والاب والاخ ومنهن فاطمة اخت عمر اسلمت قبله[1] وكذلك سبقت زوجها حيث يقول ابن عباس (رض): كنت انا وامي من المستضعفين. قال البخاري في ترجمة الباب: وكان ابن عباس (رض) مع امه واسمها (لبابة بنت الحارث الهلالية) ولم يكن مع ابيه على دين قومه[2]. ومن اللائي سبقن ازواجهن الى الاسلام حواء بنت يزيد الانصارية كانت اسلمت قديماً وزوجها بمكة وكان زوجها يسيء اليها كل الاساءة فأتاه رسول الله فدعاه الى الاسلام وقال له: (يا ابا يزيد ان صاحبتك حواء قد بلغني انك تسيء صحبتها مذ فارقت دينك فاتق الله واحفظني فيها ولا تعرض لها)[3]. وكذلك اسلمت ام سليم قبل زوجها مالك بن النضر وبعد اسلامها جاء زوجها وكان غائباً فقال: اصبوت قالت ما صبوت ولكني آمنت بهذا الرجل. فجعلت تلق انساً وتشير اليه قل لا اله إلّا الله قل اشهد ان محمد رسول الله ففعل فيقول لها ابوه لا تفسدي على ابني. فتقول اني لا افسده[4].

واسلمت المرأة وابوها كافر كأم حبيبة بنت ابي سفيان، خرج ابو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة زوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلما ذهب ليجلس على فراش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طوته عنه فقال: يا بنية

---

(١) البخاري /كتاب المناقب /سلام سعيد بن زيد /ح ٨ /ص ١٧٦.

(٢) البخاري كتاب الجنائز /اذا اسلم الصبي فمات هل يصلي عليه /ح ٣ /ص ٤٦٤.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد /ح ٨ /ص ٩٦.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد /ح ٨ /ص ٤٢٥.

ارغبت بي عن الفراش ام رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وانت امرؤ نجس مشرك فلم احب ان تجلس عليه. فقال: لقد اصابك بعدي شيئاً[1].

صور تستحق التقدير والاجلال في الوقت الذي بقي فيه ابو سفيان معانداً وحارب الرسول ﷺ مراراً ولم يسلم إلّا بعد ان كسح الاسلام الوجود المشرك في فتح مكة.

٢ـ الاضطهاد السياسي

لا ينكر احد ابداً ان المرأة لم تكن بمعزل عن الاضطهاد الذي شمل الرجل، فملاحقة المسلمين الاوائل كانت عامة. وكانت سياط التعذيب تنال من الرجال والنساء على حد سواء وللاسف فأن المنطق الجاهلي هو مساواة الجنسين في هذا الجانب اما في الحقوق الانسانية فضياع للمرأة وغبن لها. وقد القت قريش بثقلها وكيدها كي تردع المسلمين الجدد وتعيدهم الى دار الشرك ولكن الحراب المؤلمة لم تجد استجابة ابداً.

ومن اللائي عذبن في الاسلام، حادثة بنت المؤمل اخت ام عبيس زنيره الروميه كانتا من السابقات الى الاسلام وكان ابو جهل يعذبها وذهب بصرها بعد اسلامها فعيرها بذلك المشركون وقالوا اعمتها اللات والعزى فقالت: كذبوا وحق الله ما يغنيا ولا ينفعان فرد الله

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد /ج ٨ /ص ٤٢٥.

بصرها[١].

وكذلك سمية بنت خياط والدة عمار بن ياسر قيل انها سابعة سبع في الاسلام عذبها آل المغيرة وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمر بها وابنتها وزوجها يعذبون في رمضاء مكة فيقول: (صبراً آل ياسر فان موعدكم الجنة). وكان ابو جهل ممن يعذبها فطعنها فماتت فكانت اول شهيدة في الاسلام[٢].

آمن هؤلاء بالغيب حتى الشهادة واصبحت هذه المرأة في صف اول شهيد في الاسلام وواضح ان المسألة ليست سبقاً زمنياً فقط بل هي سبق رتبي يتطلب نوعاً من النبوغ الثقافي وشهامة عقل عملي، لقد شخصت حقانية الدين، من اثر البلوغ الفكري والثقافي[٣].

وبعد الاضطهاد والمحاصرة في الشعب والذي شمل ايضاً الجنسين وماتت فيه خديجة عليها السلام مع ابو طالب وقفة تأمل بدأ المسلمون يهاجرون الى الحبشة ثم الى مكة وقد استعرضنا في القسم الاول الحديث عن هجرة النساء والبيعة والمباهلة وغيرها وهنا سوف لا نتطرق لهذا الامر وهو ايضاً يلحق بالاهلية التاريخية.

٣ ـ التواجد في الساحة

أ ـ اميمة، شفيقة على المجاهدين:

كانت بنت القيس بن ابي الصلت الغفاري من المحدثات وقد روت

---

(١) نفس المصدر.

(٢) ابن حجر.

(٣) عبد الله جوادي / جمال المرأة وجلالها / ٢٨٥.

روايات كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان عدد من التابعين تلاميذها (روى عنها جملة من التابعين) وهـذه المـرأة كـانت شفيقة على المجاهدين.

كانت تتواجد في الحروب وكان لها دور مؤثر في معالجة الجرحى واخلاء الشهداء (ودائماً تحضر الوقائع وتداوي الجرحى وتـدور بـين القتلى) وعلاوة على انها كانت محدثة، كانت تفهم الاحـاديث جـيداً وترويها وكانت ضمن القوة المقاتلة.

هذه هي نفس الكمالات التي يفخر بها سائر الصحابة، وإلّا فـماذا فعل سائر الصحابة؟ لم تكن هناك للصحابة كتب وتحقيقات، بل روي عن كل منهم عدة احاديث واحياناً حديث واحد، وكان مـن بـينهم مجموعة قليلة جداً نجحت في ان تجمع نوع احاديث وكلمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كانت هذه المرأة تتولى بالإضافة الى إخلاء الجرحى، دفن الشهداء والتواجد في ميادين الحرب، تتولى الاعـلام وتـرغيب المـقاتلين عـن طريق الخطابة والشعر وامثال ذلك (وكانت تحث الناس عـلى ذلك). كان الشعر آنذاك له تأثير عند العرب. كما نلاحظ اليوم احياناً ان أثر الشعر مثل أثر البرهان في بعض الاجتماعات الخاصة. فالمحاضر اذا اقام مسائل برهانية له نفس الدرجة من الاثر الذي للشاعر المـاهر الذي يلقي قصيدة او نثراً ادبياً.

روي ان عدداً من نساء بني غفار دخلن مع هذه المرأة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت الناطقة باسمهن، قالت:

(انا نريد ان نخرج معك في وجهك هذا فنداوي الجـرحـى ونـعين

المسلمين بما استطعنا)، فاذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشاركن في معركة خيبر وكانت تقودهن بنت قيس ابن ابي الصلت الغفاري. روي انها (تهديهن لما يلزم لذلك حتى انتهى الحرب ورجع المسلمون منصورين) كانت معلمة لهن.

وهنا نلاحظ ان المرأة لما طلبت الاذن من الرسول ﷺ في الخروج معهم لم يعارض ﷺ ذلك ابداً بل سمح لهم بهذا ولو كان الرسول ﷺ يؤمن ان هذه المرأة ـ وغيرها ـ ليست اهلاً لذلك او ان وجودها معهم مفسدة لما اذن لها بذلك. وهذا الخروج الى الحرب فيه دلالة عظمى على قوة المرأة وصبرها، او كما يقول العقاد نفسه ان المرأة اصبر من الرجل في الحروب لانها عانت الام الحمل والولادة فترى المرأة ـ وكذلك الرجل ـ كلاهما يتجنب الحرب حرصاً على السلامة والامان ولكن طلب النساء مشاركة الرجال يدل على احساس عظيم بالمسؤولية من جهة وعلى شعور عميق بالقدرة على الاداء ايضاً وعلى معرفة تامة بوجود حاجة ما لوجودهن في المعسكر الحربي مما يؤكد حقيقة مهمة ان الفرد المسلم يتواجد في الساحة ليؤدي دوره الرسالي المطلوب وان كان الحضور في الحرب يمثل بحد ذاته نشاطاً سياسياً صعباً يستثني منه الكثير المرأة، فقد ايد الرسول ﷺ حضور النساء فيه اعتقاداً بالاهلية التامة من جهة، ورسماً لشخصية المرأة الرسالية التي تواكب الاحداث الهامة لتعرف ما هو المطلوب من جهة اخرى[١].

ب ـ كانت عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صفية بنت

(١) جوادي آملي ـ جمال المرأة وجلالها ص ٣٠٢.

عبد المطلب بن هاشم تشجع ابنها في نصرة دين الله، علاوة على انها آمنت كما آمن اخوها حمزة، وكانت تتمتع بأدبيات رفيعة حيث نظمت شعراً وقطعة ادبية جيدة في رثاء ابيها وعاشت عمرها بكرامة، حتى توفيت في عهد عمر[1].

ان خلاصة حياة هذه المرأة تدل على انها كانت ترى نفسها مسؤولة مثل حمزة سيد الشهداء ولم تكتف بإسلامها فقط، فاذا كان حمزة سيد الشهداء استشهد فان هذه المرأة كانت تشجع ابنها على التواجد في جبهات نصرة الدين. يمكن ان تقول الام لولدها ان لا يذهب الى الحرب بسبب العاطفة او لا تشترك في الحرب ولكن الام الملتزمة المؤمنة تشجع ابنها على الذهاب الى ساحة الجهاد وتواجد هذه المرأة في ميدان السياسة يظهر عندما تشجع ابنها لينصر دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

كانت النصرة باللسان تشكل خطراً، وكانت هذه المرأة تشجع ابنها على ان يدافع عن دين النبي كما كانت تتمتع بأدب جيد حيث امرها عبد المطلب وسائر اخواتها بأن ينظمن شعراً في رثائه قبل وفاته حتى يختبر ذوقهن الادبي، وقد سعت هذه النساء الى تربية ابنائهن بهذا الذوق الادبي، وقد انشدت هذه المرأة قطعة ادبية في رثاء ابيها عبد المطلب في حياته[2]. وهذا هو نفسه دور المرأة المسلمة في حركات التحرر ومقارعة الظالمين.

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور / السيوطي / ص ٢٥.

(٢) نفس المصدر.

ثانياً: الاهلية التاريخية لعمل المرأة السياسي

عصر ما بعد وفاة الرسول ﷺ

يرى الكثير ان المرأة المسلمة بعد وفاة الرسول ﷺ قد انحسرت عن الحياة السياسية والاجتماعية ايضاً ويعزي الامر الى عدم فهم الاسلام الصحيح بسبب قصر فترة دخول المسلمين في الاسلام عام الفتح ٨ هـ وبين وفاة الرسول ﷺ عام ١١ هـ.. وبالتالي لم يتفهم الكثيرون معاني الاسلام وبالاخص نظرته الانسانية حول المرأة ويرى آخرون ان النظرة الدونية للمرأة والتي هي من آثار الحياة الجاهلية الطويلة قد تركت آثارها في اذهان الصحابة أنفسهم ولهذا سرعان ما عادت الى الظهور بعد وفاة الرسول ﷺ وحدوث احداث كبيرة زلزلت الكثير من افكار المسلمين كحروب الردة وظهور المتنبئين ونرى فيما بعد ان ارضية الخلافة الاموية والعباسية قد ساعدت على تخلف المرأة وانعزالها عن الحياة السياسية والاجتماعية وبالتالي عاشت سباتاً طويلاً حتى العصر الحديث.

ولكن هذا لا يعني انه لم تكن هناك نشاطات أو ظواهر سياسية للمرأة في الحياة الاسلامية بل ان الحياة في عصر مابعد الرسول ﷺ والعهد الاموي الاول كانت تسطع فيها مواقف نساء لعبن دوراً مهماً في السياسة وسنمر مراً سريعاً على اهمها.

١ ـ الخطاب السياسي

ما من احد ينكر اهمية الخطاب السياسي. بل ان مدارس السياسة

ومعاهدها تعلم دروساً خاصة في كيفية واهمية الخطاب السياسي وكلما كان الخطاب فاعلاً في افكار الجماهير وعاشت هذه معه الاصغاء والانفعال فبالتالي هو خطاب ناجح وفاعل وان كنا نرى انه لم يؤت اكله فهو حجة دامغة على السامعين تفيدهم في الدنيا وتنازعهم في الآخرة.

وتتعدد وجوه الخطاب السياسي حسب ظروفه، وجرت العادة في زمن الرسول (ص) ان يكون هو صاحب الكلمة الاولى والخطاب الاول والاخير. ولكن بعد وفاته نجد ان المرأة المسلمة هي اول من يلقي خطاباً سياسياً خطيراً وتتخذ المسجد الذي هو مقر الحكومة حين ذاك منبراً لالقاء الخطاب وتعمل ايضاً على نشر الاعلام السياسي وتوجيه الدعوات بالحضور اليه. امور عديدة تشير الى فطنة سياسية وقدرة على اتخاذ قرار خطير والهاب نفوس الجماهير واثارة الجو العام حتى وان كانت هذه الاشارة لا تتناسب مع مطالب الخلفاء.

هكذا كان خطاب الزهراء عليها السلام في المسجد النبوي وهو الخطاب الاول للمرأة المسلمة الذي يدل على اهلية المرأة على التصرف بحكمة وعلى الشجاعة الكاملة والجرأة في الوقوف امام الجماهير واعلان الرأي وايضاح الحق واذا كان خطاب الزهراء عليها السلام قد جاء بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبعد ان غُصب منها حقين، الاول هو حقها في فدك التي كانت خالصة لها والثاني حق زوجها في الخلافة وتجاهل يوم الغدير، فان المطالبة بالحق المغصوب امر خطير ايضاً وترى الكثير يتراجع عن المطالبة بحقه حينما يرى نفسه وحيداً او يرى القوة المضادة له، او ربما لتزعزع الثقة في نفسه ولكن الزهراء عليها السلام ـ الثكلى بابيها ـ

مع مصائبها بفقد أبيها وسلب حقوقها، لم تترك الامر يمر بسهولة. وكلنا يعلم ان الزهراءعليها السلام لم تكن مطالبتها دفاعاً عن دنيا فانية وهي التي نزلت في شأنها سورة الدهر كاملة تبارك لها عطاءها لايام ثلاث تبق واسرتها بلا طعام. الزهراءعليها السلام اعظم من شؤون الدنيا بل ما هي والدنيا وهي التي كانت تمتلك فدكاً وتتصدق بما لها على فقراء المسلمين وتبيت جائعة على الطوى ويراها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في اسمال بالية فيبكي قائلاً: يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة.

الزهراء اعظم من ان تطالب بحقوقها لتثبيت شؤونها الدنيوية ولكنها ارادت اماطة اللثام عن حق مسلوب، وارادت ان ترسم طريقاً للدفاع عن الحق، طريقاً للمرأة والرجل لتتعلم المرأة كيف تطالب بحقوقها دون وجل ودون الخروج عن اطار الشرع او الدين، بل يبق الشعار دوماً من اجل الدين ومع الدين.

وكان عليٌّ الى جوارها، الامامة المعصومة التي تريد ان ترشد سبيل المرأة للمطالبة بحقوقها وتدعم حرية ابداء الرأي الممنوحة لها وتأذن لها في ان تتخذ من دار الحكومة حينئذ نقطة انطلاق وتساعد في بث الاعلام والدعاية السياسية للحضور الى المسجد.

(كانت الزهراءعليها السلام الى جنب علي في تحركها ومواقفها السياسية فانضم اليها جمع من المهاجرين والانصار وقد كانت تتصل بالانصار في بيوتهم.. وقد خرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على دابة ليلاً في مجالس الانصار وتسألهم النصرة فكانوا

يقولون يا بنت رسول الله ﷺ قد مضت بيعتنا لهذا الرجل)[1].

لماذا كل هذا الطواف على بيوت الانصار وكل هذه الدعاية للاستماع الى خطابها الذي هو حجة امامهم لا يستطيعون تجاهلها بحال من الاحول.. (لقد كانت عليها السلام تدرك ان حقها الذي تطالب به هو حق عام يخص المسلمين جميعاً وبالتالي فالقضية عامة تهم الجميع..).

ولكن هل كان يمكن للزهراء ان تسكت عن المطالبة بحقها.. لا.. ابداً (فسكوتها عن حقها في ارثها كان يعني سكوتها ورضاها وموافقتها على تعطيل حكم من احكام الله تعالى، وغايتها تثبيت حكم الله سبحانه وتعالى وعدم تعطيله من خلال اثبات حقها والهدف رسالي اولاً واخيراً، وحينما تكون احكام الله تعالى هي القضية لا مجال للسكوت ابداً. وعندما تكون القضية بهذه المنزلة من الدقة والخطورة لا يسع فاطمة ان تقبع في منزلها بل لابد لها من الخروج مادامت هي جزءاً اصيلاً وجوهرياً فيها)[2].

نعم لم تبق الزهراء في البيت بل خرجت الى دار الحكومة تلقي خطابها امام الناس اجمعين ومن الثابت ان الزهراء قامت بعمل سياسي قيادي تمثل في الاتصالات التي اجرتها مع اشخاص بارزين من المهاجرين والانصار تتعلق برئاسة الدولة بعد الرسول (ص)[3].

---

(١) مؤسسة البلاغ / دور المرأة في بناء المجتمع / عن الدينوري / الامامة والسياسة / ح ١ / ص ١٩.

(٢) مصطفى الحاج علي ـ مجلة المنطلق / عدد ٦٠ / ص ٩٠.

(٣) محمد مهدي شمس الدين مسائل حرجه في فقه المرأة / الكتاب الثاني / ص ٣٥.

والذي نصل اليه من هذا الكلام كله:

١ ـ ان الدفاع عن الحق دفاع مشروع للرجل والمرأة كل بحسب امكانياته وقابلياته حتى لو كان هذا الحق دنيوياً فكيف اذا مس الحق الحدود الالهية والاحكام الاسلامية ومس جانباً من امور الدين!!

٢ ـ لم تبق الزهراء في بيتها بل ذهبت تطوف على احياء المهاجرين والانصار (الاعلام السياسي) ثم القت خطبتها في المسجد الذي هو (دار الحكومة) وهذا له دلائل عديدة:

١ ـ يجوز الاستماع الى صوت المرأة وكلامها.

٢ ـ يجوز لها الخروج من البيت دفاعاً عن قضايا الاسلام.

٣ ـ لا مانع من الاستفادة من الوسائل المتاحة (الاعلام، دار الحكومة).

٣ ـ الزهراء هنا تؤكد على انه (امام القضايا الرسالية التي تهم احكام الله وكتابه وبالتالي القضايا العامة التي تهم عموم الامة فالمرأة والرجل سواء بسواء في الدفاع عن اقامة الحكم الالهي وتثبيت دعائمه كل منهما بحسب دوره واستعدادته المودعة فيه ووفق الحدود التي رسمها الشارع المقدس)[1].

٤ ـ حفاظها على الحجاب الاسلامي دليل على ان الحجاب وسيلة لانطلاق المرأة الى المجتمع الكبير.

نستلهم من هذا ان للمرأة الحق الكامل في القاء خطاباً سياسياً او غيره وانه قد يكون من الواجب خروجها من البيت لامور عظيمة

---

(١) مصطفى الحاج علي ـ مجلة المنطلق / عدد ٦٠ / ص ٩٠.

الاهمية، والذي يقرأ خطبة الزهـراء عليها السلام ويـرى اسـتعانتها بـالآيات القرآنية يعرف الحاجة الماسة الى ان تكون المرأة السياسية ذات ثقافة اسلامية واسعة تؤهلها للدفاع عن العقيدة واماطة اللثام عن الحقائق.

٢ ـ تصحيح القانون

مما جاء في روايات التاريخ ان الخليفة الثاني عمر كان يتحدث على المنبر عن المغالاة في المهور وضرورة تحديدها فقامت اليه امـرأة مـن صف الناس وقالت: ما ذاك لك فقال: ولمـه؟ اجـابت: لأن الله تـعالى يقول: ﴿واتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أ تأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً﴾ (النساء / آية ٢٠).

فرجع عمر عن رأيه وقال: اخطأ عمر واصابت امرأة.

تدل هذه الواقعة اولاً على:

١ ـ جواز صلاة النساء في المساجد.

٢ ـ حفظهن القرآن وقدرتهن على الجدل.

٣ ـ عدم تهيبهن الحديث في المجالس العامة.

٤ ـ احترام اكبر رجال الدولة لحقهن في المناقشة وابداء الرأي[١].

كانت هذه امرأة عامة من بين الناس ولكنها قالت قولها لكي يعتبر الجميع، واعتراف الخليفة بقولها وتراجعه عن حكمه رغم انهـا امـرأة اشارة الى اهمية مشاركة النساء في الحياة السياسية خاصة في المجالات التي تخص المرأة والاسرة.

---

(١) فتحي رضوان / الاسلام والمسلمون / ص ٤٠٢.

ويعلق على هذه الحادثة سعدي ابوجيب قائلاً:

(امرأة لا يكاد التاريخ يعرف اسمها ترد على رئـيس الدولة قـولته ورأيه ولا تخشى بطشه ولا تخاف نقمته ورئيس الدولة يسمع منها ما تريد ولا يجعل ذلك بينهما بل يعلن على الملأ خطأ رأيه وحيدة نظرته عن الصواب ويرجع عما قال ورأى لأن المرأة كانت على حق وقد رفع الحق كلمتها فوق رأي رئيس الدولة وكلمته[١].

٣ـ الحسبة

وقد اختار عمر بن الخطاب زمن خلافته لمنصب الحسبة وولايـة السوق امرأة مسلمة هي ليلى بنت عبد الله القرشية ـ العدوية ـ ولقبها الشفاء.

وكانت هذه قد اسلمت قبل الهجرة وهي من المهاجرات الاوليات، وكان رسول الله ﷺ يعرف لها ذلك فيزورها في بيتها ويقيل عندها، وكان عمر يقدمها ويرعاها ويفضلها[٢].

واذا سلمنا ان الحسبة هي مرتبة اعلى من القضاء ففيها تدخل ولاية السوق أي اجراء الاحكام القانونية في الاسواق مما يستوجب حضور المرأة فيه ولا بد من توفر عـدة شروط فـيمن يـتولى هـذا المـنصب الحساس في ان يكون (مسلماً حـراً بـالغاً عـاقلاً ذا رأي وصرامـة

(١) سعدي ابوجيب / دراسة في منهاج الاسلام السياسي / ٧٣٢.

(٢) محمد علي قطب / فضل تربية البنات في الاسلام / ص ٦٣.

وعارفاً باحكام الشريعة)[١]. فمهمة المحتسب مراقبة التجار وارباب الحرف والاسعار والمكاييل والموازين لمنع الغش والاشراف على رعاية الاخلاق العامة كمنع شرب الخمر علناً ومنع تعرض الرجال للنساء.

وهذه المهمة الخطيرة التي اسندت الى المرأة في صدر الاسلام ولم يعارضها احد لدلالة واضحة على قدرة المرأة على تولي الوظائف الخطرة والحساسة في الدولة وقد (صرح جماعة من ائمة الفقهاء مجتهدين ومقلدين بصلاحيتها للولاية والحكم وجواز مشاركة الرجل في ادارة شؤون الدولة حكماً وقضاء)[٢].

ونرى انه في بعض الدول الاسلامية تتمتع الآن المرأة المسلمة بمنزلة قاضية كما في ايران مثلاً.

وعمل الحسبة بحد ذاته قد يبدو عمل متشابك تتعرض فيه المرأة الى اصدار الاوامر الى الرجال من البقالين وغيرهم وهذا يشكل منعطفاً واضحاً بيناً في تفهم قدرات المرأة المسلمة التي أُهمل الكثير منها.

ثالثاً: تواجد المرأة في ميدان السياسة في العهد الاموي

الوافدات على معاوية

بعد شهادة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام شن معاوية حملة ظالمة لمطاردة العلويين وقد قتل الكثير من جل المؤيدين من امثال حجر بن

---

(١) الدكتور عصام محمد شبارو / القضاء والقضاة في الاسلام / ص ٢١.

(٢) محمد علي قطب / فضل تربية البنات في الاسلام / ص ٦٤.

عدي، ورشيد الهجري، وعمرو بن حمق الخزاعي وغيرهم. اما المرأة المسلمة فكانت اما تؤخذ رهينة حتى يسلم زوجها نفسه الى السلطة او تتعرض الى الكثير من المضايقات حتى في زاد اولادها وطعامهم ولكن النساء بقين على ولاءهن للامام عليه السلام ولم تزعزع تلك الظروف القاسية من عقيدتهن ابداً.. وكثير منهن ساقتهن الظروف الى لقاء معاوية ويتعمد هذا النيل من الامام علي عليه السلام ـ لا ننسى انه جعل سب الامام فريضة ـ استفزازاً لمشاعرهن، وترى التاريخ يرسم لنا صوراً مباركة للمرأة القوية المدافعة عن مبادئها. تراها لا تسكت على ما يقوله معاوية بل ترد عليه بقوة وصراحة دفاعاً عن الحق وثباتها في المواقف الصعبة. وهذا ان دل على شيء فانما يدل على شجاعة المرأة المسلمة وجرأتها وعدم حيادتها عن الحق، وقد نقل لنا التاريخ صور الكثير من هؤلاء الوافدات على معاوية وانا هنا اشير الى واحدة فقط بما يسعه المجال كي نعرف ان نشاط المرأة السياسي لم يتوقف امام شراسة معاوية الواضحة.. وان المرأة وان كانت تحركها العواطف ولكن عواطف المحبة في الله تسمو على كل شيء وهي قادرة على تحريك العواطف وتحويلها الى قوة ضاغطة على السلطة السياسية في المواقف الحرجة. وهؤلاء النساء عشن الحب الكبير للامام عليه السلام لعدله وعلمه ونصرته للاسلام فلم تهز ذلك الحب صور القدرة الظاهرية لدى الخليفة الاموي، انها ليست قوة امرأة فحسب بل هو نبل وتسامي ومعرفة وابداع لساني يجمد الرجال عن الحوار.

سودة الهمداني:

سودة بنت عمار بن الأسك الهمداني قصتها من القصص المعروفة

والخالصة في التاريخ، كانت تتمتع بذكاء اجتماعي، وكذلك كانت تعتبر المشاركة في ميدان السياسة وظيفتها. لم تكن تفكر في اخراج بساطها من الماء، لم تكن تفكر في الخوف من حكومة الامويين، أو تكتفي بحل مشكلتها خاصة وتقول: ما دمت وصلت المقصد فما شأني بالآخرين الذين ضلوا في الطريق.

استأذنت على معاوية بن ابي سفيان فاذن لها. دخلت عليه قال: هيه يا بنت الأسك ألست القائلة يوم صفين:

شمر كفعل ابيك يا ابن عمارة　　يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطه　　واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخو النبي محمد　　علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر امام لوائه　　قدماً بأبيض صارم وسنان

قالت: أي والله ما مثلي من رغب عن الحق واعتذر بالكذب، قال لها: فما حملك على ذلك؟ قالت: حب علي عليه السلام واتباع الحق، قال فوالله لا ارى عليك من اثر علي عليه السلام. قالت انشد الله يا امير المؤمنين عدم اعادة ما مضى وتذكر ما قد نسي. قال هيهات ما مثل مقام اخيك ينسى وما لقيت من احد ما لقيت من قومك واخيك قالت: صدق فوك لم يكن اخي ذميم المقام ولا خفي المكان كان والله كقول الخنساء:

وان صخرا لتأتم الهداة به　　كأنه علم في رأسه نار

قال: صدقت لقد كان كذلك، قالت مات الرأس وبتر الذنب وبالله اسأل امير المؤمنين اعفائي مما استعفيت منه. قال قد فعلت فما حاجتك؟ قالت: انك اصبحت للناس سيداً ولامرهم متقلداً والله

سائلك من امرنا ما افترض عليك من حقنا ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة هذا بسر بن ارطأة قدم علينا من قبلك فقتل رجالي واخذ مالي. يقول لي: فوهي بما استعصم الله منه والجأ اليه فيه ولولا الطاعة لكان فينا عـز ومـنعة فـإما عـزلته عـنا فشكرناك، واما لا فعرفناك. فقال معاوية: أ تهدديني بقومك لقد هممت ان احملك على قتب اشرس فاردك اليه ينفذ فيك حـكمه. فأطـرقت تبكي ثم انشأت تقول:

صلى الإله عـلى جـسم يـضمه قبر فأصبح فيه العدل مـدفوناً
قد حالف الحق لا يـبغي بـدلاً فصار بالحق والايمـان مـقروناً

قال لها ومن ذاك؟ قالت: علي بن ابي طالب، قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟ قالت: قدمت عليه في رجل ولاه صدقتنا فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين، فأتيت علياً لاشكو اليـه مـا صـنع بـنا فوجدته قائماً يصلي فلما نظر الي انفتل من صلاته ثم قـال لي بـرأفـة وتعطف: أ لك حاجة؟ فأخبرته الخبر فبكى ثم قـال: اللـهم انك انت الشاهد علي وعليهم اني لم امرهم بظلم خلقك ولا بـترك حـقك، ثم اخرج من جيبه قطعة جلد وكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحـيم قـد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكـيل والمـيزان ولا تـبخسوا النـاس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خـير لكـم ان كـنتم مؤمنين، وما انا عليكم بحفيظ. اذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يـديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام. فأخـذته مـنه،

فوالله ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام، فقرأته. فقال لها: لقد ألمظكم ابن ابي طالب الجرأة على السلطان فبطيئاً ما تفطمون. اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها. قالت: إلي خاصة أم لقومي عامة؟ قال: ما أنت وقومك؟ قالت: هي والله اذن الفحشاء ان كان عدلاً وشاملاً وإلّا فأنا كسائر قومي. قال: اكتبوا لها ولقومها.

يستفاد من هذا النموذج: ان تواجد المرأة في المسائل الاجتماعية والسياسية هو مثل الرجل، وان المرأة تستطيع مراجعة محاكم حكام الجور من اجل استحقاق الحق الضائع وتستطيع ان تكون حامي حقوق الآخرين، بل هي موظفة ان تعتبر الدفاع عن حقوق الآخرين معروفاً والدفاع عن حقوق الاشخاص بمعزل عن حقوق المجتمع بمثابة منكر[1].

الاعلام السياسي:

المرأة في ثورة الحسين (ع)

يعتبر الاعلام السياسي اهم شأن من شؤون السياسة لما له من اثر كبير وعظيم في الترويج لمفهوم معين أو رفع شخص أو حطه أو نشر فكرة أو تطويقها. ولهذا تجد الدول والاحزاب لا تتوانى عن انفاق الاموال الطائلة الكثيرة من اجل دعم مؤيديها ونشر افكارها وتقوية ارضية الاعلام الى جنبها. ومن البديهي ان الحاجة الى الاعلام تبرز أكثر في الشؤون الحساسة والقضايا المصيرية المهمة ولهذا ترى الدول

(١) بتصرف من كتاب جمال المرأة وجلالها / محمد علي جوادي آملي ص ٢٨٨ ـ ٢٩١.

والهيئات ترسل الكثير من الصحفيين والاعلاميين لتصوير الوقائع ونشر الاحداث بما يتلائم واهدافها.. وهذا له الاثر الكبير في تدعيم سلطانها وشعبيتها بين الناس.

واذا عدنا ادراجنا الى عام ٦٠ هـ حيث لا توجد وسائل التقنية الحديثة والاتصالات المتطورة والسريعة ادركنا عمق الحاجة الى الاعلام خاصة بعد ان اثبتت التجربة الاسلامية ضياع الكثير من الوقائع والاحداث واهمال التاريخ لاشد الامور حساسية وشأناً ويعود السبب في ذلك الاهمال الى نقص الاعلام بالنسبة لها وعدم تسليط الاضواء الكافية على هذه الحادثة أو تلك لتبق راسخة في ذهن الاجيال متداولة بين الشفاه والالسن. ولعلنا بهذا استطعنا الوصول الى السبب الذي جعل الامام الحسين عليه السلام يحمل عياله واخواته معه الى كربلاء الى السبي والدواهي من الخطوب.. (لقد حمل الحسين عليه السلام السنة ناطقة لتنشر انباء التضحية في العالم الاسلامي ومذياعاً سياراً يذيع تفاصيل تلك المأساة الانسانية والجرائم الوحشية فلم يجد سوى تلك المخدرات والعقائل اللواتي سبين وسيّرن بعد الحسين عليه السلام في ركب فظيع مؤلم يجوب الاقطار يلقين الخطب في الجماهير وينشرن الوعي بين المسلمين وينبهن الغافلين ويلفتن انظار المخدوعين ويفضحن الدعايات المضللة حتى ساد الوعي وتنبه الناس الى فظاعة الجريمة وانهالت الاعتراضات والانتقادات على يزيد والامويين من كل الفئات والجهات)[1].

---

(١) عبد الوهاب الكاشي / مأساة الحسين بين السائل والمجيب ص ٨٠.

ولولا وجود (وسائل الاعلام المتحركة) لما عرف الناس لماذا ثـار الحسين؟ بل ما عرفوا بشهادته فلئه لما طافوا برأسه المبارك قيل انـه رأس خارجي خرج على حكم يزيد فـاستحق القـتل ولولا وجـود الحرائر اللائي كشفن الحقائق المؤلمة التي حاول طمسها يزيد لمـا بـقي للثورة الحسينية باقية.

ورب قائل يقول أ من أجل الاعلام السياسي يعرض الحسين عياله لكل هذا السبي المفجع والمحنة الطويلة من المآسي المتتالية؟ ان الامـام الحسينعليه السلام حتى لو لم يأخذ عياله معه الى كربلاء وابقاهم في مكانهم فان يزيد لن يتركهم وشأنهم بل سـيقبض عـليهم ويجـعلهم وسـيلة ورهينة للضغط على الحسين كي يجبره على التراجع كما فعل مع زوجة عمرو بن حمق الخزاعي (امنة بنت رشيد) التي قبض عليها لما هـرب زوجها فأمر بها الى السجن فسجنت حتى جيء برأس زوجها عمرو الى الشام.

* * *

وقبل ان استعرض المواقف النسائية في واقعة الطف اريد ان اشير الى الاوضاع النسوية العامة ابان الحكم الاموي. فلقد بـدأت المـرأة المسلمة تتوارى عن الحياة العامة وعن متابعة شؤون السياسة ولا نجد هناك موقفاً نسوياً يسجله التاريخ بين عامي ٤٠ ـ ٦٠ هـ وهي بداية الحكم الاموي سوى الوافدات. وربما يعود السبب الى امور منها تغيير سياسة معاوية وابتعادها عن طريق الاسلام واتخاذه الجواري ودخول افكار خاطئة ظالمة عن المرأة نتيجة احتكاك المسلمين مـع الاقـوام

والامم المختلفة التي دخلت في الاسلام والسبب الآخر الاحاديث الكاذبة التي وجدت لها رواجاً واسعاً والتي تحط بالكثير من مكانة المرأة وتُميت فريضة الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وربما وجد معاوية ان قيام عائشة بحرب الجمل مع ما اسفر عنه من سقوط الكثير من الضحايا ومنهم حفظة القرآن اوجد في الناس الجرأة على الخلفاء والتمرد عليهم فلم يجرؤ احد قبل عائشة على الثورة على الخلفاء ولكن بعد حرب الجمل سرعان ما اشتعلت حرب صفين والنهروان وحروب صغيرة اخرى.. ولهذا روج للاحاديث التي تزرع الخوف وتُميت الجرأة والشجاعة وتبارك السكوت على المنكر وتحذر من المعروف، حتى جاءت ثورة الحسين لتمزق الحجب وتكشف الاستار عن حقيقة كثير من المعاني ومنحت الناس الوعي السياسي والعقائدي على تفهم الامور والتصدي للحاكم الظالم. وكان اشتراك زينب عليها السلام في هذه الثورة هو بمثابة محاولة لاسترداد الموقع النسائي الذي انزوى وانحسر في ركن قصي.

وكان لابد من هزة عظيمة توقظ الضمائر وكان لزينب عليها السلام مع باقي النساء في ذلك الحضور الفاعل في الثورة الاثر الكبير في تأجيج الواقع واثارة الجو السياسي العام الامر الذي اخاف الخليفة الاموي نفسه فجعله يتلمس له الاعذار وسبل النجاة من عار الاثم الذي لحق به.

فترى زينب عليها السلام وام كلثوم تلقيان الخطب المجلجلة التي جعلت الناس تبكي وتتألم على تخلفها عن نصرة الحسين عليه السلام. استعملت زينب عليها السلام الخطاب العتابي الذي يحاصر الجماهير في موقع العتب واللوم ويجعلها تشعر بالتقصير والندم، ولهذا اهتزت الكوفة بعد خطبة

زينب عليها السلام وكذلك الشام مما حدى بيزيد بالاسراع بـاخراجـهم مـن الشام. وحتى لما عادت السبايا الى المدينة اخذن يهيجن الرأي العـام ضد يزيد بن معاوية وذلك بـعقد المجـالس وبـالندبة وتـعداد الجـرائم والموبقات التي صدرت من الفئة الحاكمة تجاه آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى ضاق حاكم المدينة بذلك فكتب الى يزيد الذي امر بابعاد العقيلة زينب الى سوريا والى مصر في بعض الروايات لتقضي آخر ايامها وحـيدة فريدة.

وتجد زينب عليها السلام قد عاشت اجواءاً رسالية جهادية خاصة في ذلك البيت الذي اذهب الله عـنه الرجس وطـهره تـطهيراً. فـقد واكـبت الاحداث الاسلامية وهي طفلة صغيرة افتقدت جدها ثم امها وهـي كبيرة ترى والدها شهيد المحراب الاول واخاها قضي نحبه مسـموماً. امور كثيرة عصفت بهذا البيت وهبت لزينب تلك الشجاعة في مواجهة الخطوب والصبر امام الرزايا مما زودهـا بـوقود الحـكمة والمـثالية في التصرف ازاء المواقف الصعبة الحرجة وإلّا فمن يستطيع ان يقضي ثلاثة ايام عطشاً يسمع صراخ الصغار ونحيب الامهات.. ويعاين بام عينيه مصرع الاحبة والاصدقاء بصور مفجعة مبكية ويبقى وحيداً بين خيام محترقة وعليل مريض لا يقوى على القيام واطفال هاربة من لهيب النار وحوافر الخيل لكنها تتقدم بكل رباطة جأش لتسجل موقفاً تاريخياً للمرأة المسلمة الصابرة المحتسبة اجرها عند الله تعالى، ولتقول بصوت يسمعه منها الاعداء: (اللهم تقبلْ منا هذا القربان). موقف علم الفـتاة المسلمة بعدها كيفية العطاء والتـضحية وابـرز الى الوجـود مـصطلح

الشهادة، ثم تلقي خطبتها في مسجد الكوفة والذكريات تتوالى وتترى تهز اعماق وجودها الملتهب يوم كان ابوها هو الحاكم هنا وها هي ذي اليوم اسيرة تهدى، تقول في خطبتها لأهالي الكوفه:ـ

«اما بعد يا أهل الكوفة، أ تبكون؟ فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة انما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً تتخذون ايمانكم دخلاً بينكم ساء ما تزرون..

اي والله فابكو كثيراً واضحكوا قليلاً فقد ذهبتم بعارها وشنارها فلن ترحضوها بغسل ابداً وكيف ترحضون قتل سبط خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدار حجتكم ومنار محجتكم وهو سيد شباب اهل الجنة؟ لقد اتيتم بها خرقاء شوهاء. أتعجبون لو أمطرت السماء دماً؟ ألا ساء ما سولت لكم انفسكم ان سخط الله عليكم وفي العذاب انتم خالدون.

أتدرون أي كبد فريتم وأي دم سفكتم وأي كريمة أبرزتم؟ لقد جئتم شيئاً ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا».

قال من سمعها (فلم ار والله خفرة انطق منها كأنما تنزع عن لسان امير المؤمنين علي بن ابي طالب فلا والله ما اتمت حديثها حتى ضج الناس بالبكاء وذهلوا وسقط ما في ايديهم من هول تلك المحنة الدهماء.

وكان لخطب ام كلثوم وفاطمة بنت الحسين وغيرها آثاراً هزت اعماق الوجود الانساني لمجتمع الكوفة ولهذا تجد سرعان ما انطلقت الثورات تعلن ثأرها للحسين (ع)، وكأن علياً كان ادرى بما سيحدث

للحسين عليه السلام في يوم عاشوراء وكان أعلم من غيره بقدسية نهضته وكان اشد وعياً من الآخرين في ضرورة وجود المرأة المسلمة المحامية عن بقية الامامة الناشرة لوعي الثورة ولهذا شرط على زوجها عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ان يأذن لها بالسفر مع الحسين عليه السلام اذا قصد الثورة فكان ما كان.

نعم لم تبق زينب الى جوار زوجها بل هاجرت الى مواقع الحاجة الرسالية الى وجودها المعطاء، واذن الزوج المريض لزوجته ان تواكب مواكب النور القاصد الى ارض كربلاء ليسجل موقفاً تاريخياً في صورة الزوج المسلم الذي يعيش الرسالية في حياته حتى في اخص الامور ألا وهي علاقته بزوجته.

* * *

وقد تعددت الادوار النسائية في المعركة من امرأة تحث زوجها على اللحوق بالحسين وهي تعلم ان هذا سيكلفها غالياً فالحسين عليه السلام لا ناصر له ولا معين امام جيش ابن زياد الواسع العدة والعدد، لقد دفعته الى شراء آخرته بدقائق معدودات ينصر فيها العقيدة والدين ليكون في سجل الخالدين تلك كانت حذلم (أو دلهم) بنت عمير زوجة زهير بن القين، الزوجة التي تشجع زوجها على نصرة الدين رغم ان هذا يعني الفراق الابدي لها. الى امرأة تفتح ابواب (اللجوء السياسي) لسفير الحسين الشريد الطريد الذي اوصدت في وجهه كل الابواب ولم يبق إلّا باب طوعة، المرأة العجوز التي نصرته في وقت تخاذل فيه اشداء الرجال عن ذلك وفي وقت طفق الطامعون يتقصون آثاره للحصول

على الجائزة الثمينة دراهم معدودات. ترَ هذه الحرة الابية تؤثر الآخرة على الدنيا غير مبالية بالمال والعسكر، انها امرأة عجوز عجنت العقيدة في قلبها مع دمها فسجلت موقفاً رسالياً شامخاً يطأطأ له الرجال هاماتهم له ابد الدهر وهنا وهناك ولا اريد ان اطيل فمراجع الثورة الحسينية فيها الكثير ولكني اردت ان اعرض صورة لقوة المرأة واهليتها في الاهتمام بشؤون الامة وصناعة الاحداث وقلب الامور لصالح الرسالة...

وتشاطرت هي والحسين بنهضة   حتم القضاء عليها ان يندبا
هذا بمعترك الرماح وهذه   في حيث معترك المكاره في السبا

* * *

ونستطيع القول ان بعد هذه الواقعة كانت هناك آثاراً لنشاطات نسوية سياسية ولكنها قليلة وكان لسياسة الدولة الاموية والعباسية ومن ثم العثمانية الاثر الكبير في انزواء المرأة المسلمة وخضوع العقل المسلم للتقاليد والاعراف الخاطئة ـ لا للدين ـ واحكام الرجل فرض سلطته الذكورية عبر طمس الهوية الانسانية للمرأة المسلمة ولهذا لن اتكلم عن مواقف النساء في هذه الفترة.

المرأة وحركات التحرر

لا يستطيع احد أبداً انكار الحضور النسائي في كل حركات التحرر العربي والاسلامي ولا يستطيع احد ابداً ان يقول ان المرأة تخلفت عن نصرة حركة التحرر، فلقد كان حضور المرأة واضحاً تقريباً، وقد

تعددت الادوار التي لعبتها في هذه الحقبة المريرة التي شملت معظم البلاد العربية والاسلامية فتارةً تراها تقود المظاهرت كما حدث في كلية الملكة عالية عام ١٩٤٨ في العراق لاجبار الحكومة العراقية آنذاك لارسال قوات عسكرية الى فلسطين، وتارةً تراها تشترك في دورات التدريب على اعمال جمع المعلومات عن العدو والعمل الفدائي وعلى الاعمال القتالية وتارة تشترك في تأسيس اللجان والمؤتمرات التي تسهل عليها نشاطها السياسي (في عام ١٩٢١ تشكل اول مؤتمر نسائي فلسطيني). وقد دخلت الكثير منهن السجون كما في (جميلة بوحيرد) في الجزائر، واخريات تقدمن صفوف المظاهرات وكن شهيدات واخريات تشردن عن الارض كما حدث مع الفلسطينيات والتي جعلت الواحدة منهن المخيم (وحدة جغرافية تموج بالانشطة الاجتماعية والسياسية حتى غلب عليه الروح الثورية حتى اصبح اهم المرتكزات التي تقوم عليها الثورة الفلسطينية التي تمد الاعضاء بالمقاومة)[١]. وكثير منهن اشتركن في عمليات تشكيل الكتائب النسائية ناهيك عن القدرات الاعلامية والتعبوية واعانة أُسر الشهداء ومنكوبي الحروب والمفقودين من المعتقلين وغيرهم.

لا شك ان هناك حركة نضالية من جانب المرأة واكبت نهوض القوى الوطنية في سبيل تحقيق الاهداف القومية ولكن كان هناك تفاوت في الوعي باهمية اشتراك المرأة في المعركة النضالية على ان هذا

---

(١) د. حكمت ابو زيد /المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية ص ١٦٨.

التفاوت لم يكن في النوع وانما في الدرجة وان اشراك المرأة في المعركة النضالية القومية سبق الوعي بضرورة تحرير المرأة وان مجرد اشتراك المرأة بهذه الانشطة الثورية ـ مهما كان ضيق الحدود ـ كان من شأنه ان يمهد السبيل لتحرير المرأة وان حصر الانشطة الثورية (للنساء) في المؤتمرات ـ والتظاهرات والاضرابات كما حدث عام ١٩٣٦ مع المرأة الفلسطينية كان يتفق مع تقبل الجميع لبعض الانشطة دون الاخرى[١].

وفي واقع الامر فاننا حينما نقرأ عن تظاهرات عام ١٩٤٨ في العراق من اجل نصرة الشعب الفلسطيني وعن مؤتمر في عام ١٩٢١، نرى ان هذا التطور السياسي للمرأة قد انحسر في اخريات القرن العشرين. وقد كانت قفزة عظمى ان المجتمع آنذاك يتقبل هذه الافكار السياسية حتى قبل اقرار حقوق المرأة السياسية لدى الامم المتحدة عام ١٩٤٨. ونحن نرى الى جانب ذلك الاشتراك الواضح في طرد الاستعمار من بلاد المسلمين حضوراً واضحاً وفعالاً للمرأة المسلمة في ايران سواء في التظاهرات المليونية التي لعبت دوراً مهماً في بيان الهوية الاسلامية للثورة وفي طرح الصورة الصحيحة للمرأة المسلمة. من خلال الآية (والمؤمنون والمؤمنات)، ونجحت في طرد اقوى شرطي امريكي في المنطقة بيد عزلاء وهذا ما دعا الامام الخميني الى القول (نحن مدينون الى المرأة بانتصارنا) ويقول في موضع آخر (ان المرأة فاعلة وتؤثر في العناصر الفاعلة) ومن خلال اشتراكها في التظاهرات قد شجعت اخيها الرجل على التواجد في الساحة السياسية. (ان المرأة لم تقاوم في عهد

---

(١) د. حكمت ابو زيد / ص ١٦٧.

من عهود التاريخ أي تشريع دعاها الى التضحية في سبيل الواجب القومي بما في ذلك اعباء الحرب ولم تأنف ان تسرف في انهاك قواها العضوية اذا دعيت الى اداء الواجب)[1].

ونستطيع القول ان اشتراك النساء المسلمات في حركات التحرر سواء في تحرير الجنوب اللبناني أو في ايران من خلال حضور النساء المحجبات يركز الدعم السياسي للحجاب بأنه وسيلة للانطلاق نحو الساحة الاجتماعية ويصور موقع المرأة المسلمة في اثارة الاجواء العامة وقلب الاحداث لما فيه صالح العقيدة. ولازلنا نرى مشاركة المرأة الفلسطينية في الثورة فتراها هي التي حافظت على القيم الفلسطينية من خلال اعداد الجيل الواعي المتفهم لقضاياه المصيرية ومن خلال اشتراكها بكل ما تستطيع اداءه من اجل الثورة. وقد ترى حرصها على الصلاة في الاقصى وكلنا نعلم ان صلاة الجماعة غير واجبة على النساء ولكنها تتحول الى سيف مسلول ضد الاستكبار وسلاح جبار يؤرق الصهاينة. وقد دلت الاحصائيات على زيادة انخراط النساء الفلسطينيات في صفوف المقاومة وفي العمليات الفدائية بعد حرب ١٩٦٧[2].

لقد كان الاستعمار الاستيطاني اخطر اشكال الاستعمار واصعبها من حيث الوسائل ـ ولأنه يهدف الى احتلال الارض واستيطانها ولأنه يعمل على سلب السكان من مواردهم الاقتصادية ومن جذورهم

---

(١) احمد مظهر / المرأة في عصر الديمقراطية / ص ٨٤.

(٢) د. حكمت ابو زيد / المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية / ص ١٦٩.

المعنوية عن طريق القضاء على الثقافة الاصيلة واحلال ثقافة مكانها والعمل على تجذيرها في وعي الاجيال من خلال مؤسساته التعليمية ومناهجه، ولكن رغم ذلك فالمرأة ـ الام ـ لعبت دوراً رئيسياً في الحفاظ على الثقافة الاصلية ونقلها من جيل الى جيل وادنى نظرة الى انتفاضات الشعب الفلسطيني تلمس بوضوح حضور الشباب الصغار والفتيان والاطفال الذين لم يشهدوا الاحتلال ولكنهم عرفوا عداوة هم.

وابان الاحتلال الفرنسي للجزائر انخرطت الفتيات ايضاً في الصفوف المقاومة مع الحفاظ على التقاليد الاسلامية[1]. ولكن لا ادري لماذا بعد الانتصار غُيب دور المرأة وهمش فلم تعد تسمع لها حسيساً وتراها من جديد اخذت تعاود الكرة للحصول على حقوقها السياسية اللهم إلّا في ايران حيث تزداد عاماً بعد عام ارقام النائبات في مجلس الشورى ورقيت المرأة الى درجة قاضية[2].

ربما من المؤلم حقاً اننا نفسح للنساء المجال الاكبر للمشاركة في طرد الاستعمار ثم نقصيهن ونسلب حقوقهن حتى تعود تطالب المرأة بحقها من اهل البلد انفسهم!!

مع ان الحق السياسي حق طبيعي لا يسقط عن الانسان ولا يسلب

---

(١) د. حكمت ابو زيد / المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية / ص ١٦٧ بتصرف.

(٢) مارست المرأة المسلمة الحسبة في زمن الخليفة الثاني وهي مرتبة اعلى من القضاء ولكنها الآن محرومة من هذا الحق او ما دونه في أكثر الدول الاسلامية والعربية.

منه حتى لو تعاقد هو على حرمان نفسه منه[1]. ان لكل بلد قصة مع الاستعمار وفي كل قصة ترى للمرأة المسلمة حضوراً واضحاً ان دل على شيء يدل على قدرة المـرأة على القيام بالنشاطات السياسية التي تعود بالنفع لقضايانا المصيرية، كما انها الآن اصبحت ذات وعي واسع وثقافة جيدة تتيح لها القيام بنشاطات اكبر. ان قضايا تحرير الاوطان والمجتمعات تخسر كثيراً بتخلف النساء فيها ولله الحمد فان قضايا التحرير لو كانت بامر من القائمين عليها فربما جمدوا المرأة ولكن اندفاعها هي ـ دون اجبار أو اكراه ـ للدفاع عن الحقوق المغتصبة يؤكد احساسها بالمسؤولية بنفس المستوى والكفاءة لدى الرجل وآن كانت مشاركاتها الواضحة قليلة ربما فان نشاطاتها الخفية لا تقدر بثمن.

---

(١) احمد مظهر / المرأة في عصر الديمقراطية / ص ١٠.

الاهلية الانسانية للمرأة في العمل السياسي

كانت المرأة والى امد غير بعيد تعتبر مخلوقاً ادنى من الرجل في الانسانية وتوضع في مرتبة الحيوان وان كان بعضهم قد اثر الحيوان عليها لأنه رأى فوائده الظاهرية التي جعلته يغمض العين عن (فوائد المرأة) فضلاً عن انسانيتها.

ففي عام ٥٨٦ عقد في فرنسا اجتماعاً يبحث شأن المرأة وما اذا كانت تعد انساناً أو لا وبعد النقاش قرر المجتمعون ان المرأة انسان ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل[١]. ومن المسلم به ان هذه الافكار العنصرية القديمة قد عفى عليها الزمن ولم يعد لها وجود على الخارطة العلمية وان كانت لها محطات في العقلية الذكورية المتخلفة في بعض المجتمعات وليس كلها. ونحن جميعاً نعترف بأن المرأة انسان كالرجل تماماً وانه لا فرق بينه وبينها من ناحية الجوهر والمادة والروح وان الفروق الظاهرية هي فروق ثانوية جاءت مكملة للادوار المناطة

---

(١) د. احمد الشلبي / مقارنة الاديان / ح ٣ / ص ٢٠٠.

بكليهما.

وان ميثاق الامم المتحدة الصادر عام ١٩٤٨ يؤكد هذا الامر كما ان الاساس الذي بنيت عليه الحركات النسوية المطالبة بحقوق المرأة هو هذه الحقيقة العلمية، وعلى هذا فالحصيلة الاولى التي سنخرج بها من كلامنا هذا ان المرأة انسان كالرجل تماماً وهذا ما يؤكده القرآن الكريم ﴿يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ (النساء / ١) فاذا كانت هي انسان كالرجل تماماً مع وجود الفوارق الجسمية والنفسية التي تؤهل كلا الطرفين لاداء مفهوم الاستخلاف الانساني على وجه الارض. فهل يجوز لنا ان نعطي للرجل كل شيء من الحقوق ونسحب عن المرأة كل شيء بحجة هذه الفوارق التي لا تؤثر على انسانية كلا الطرفين بل بالعكس قد ترفع انسانية المرأة الى اعلى عليين باعتبارها المحافظة المحافظة على ادامة النسل الانساني على وجه الارض والمصنع الذي يمد الارض بمن يخلفها!!

انه مما لا شك فيه ان الجسد الخارجي ما هو إلّا صورة من الصور الانسانية الظاهرية وان اصل الكمالات البشرية هو الروح التي يحتويها ذلك الجسد والروح لكلا الجنسين واحدة باعتبارها من اصل واحد ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ (الحجر ـ ٢٩)، وان كان الجسم مذكراً أو مؤنثاً لاداء بعض المهام الجسمية فالروح ليست كذلك هذا من جانب ومن جانب آخر نحن لا نتفق مع الماديين في ان الجسم الذي يتعلم العلم ويكتسب الفضائل الانسانية باعتبار اننا نرى رجالاً ذو هياكل

بشرية ضخمة ولكنهم قوم لا يعقلون ونرى اناساً محرومون من اسباب الجسم الجميل ولكنهم متفوقون في كثير من الامور.

وعلى هذا فحقيقة الانسان تشكلها روحه وليست جسمه فالجسم ليس أكثر من اداة اما الروح فهي التي تتعلم وتتزكى. ولهذا تكون (رؤية الاسلام للمرأة وتنظيم حقوقها. ان حيثيتها لها جنبة حق الله وليس حق الناس)[1].

ولكن الغريب انه (حين يجري الحديث عن الاختلافات الفطرية بين المرأة والرجل يتلقاه البعض على انه نقص في المرأة وكمال للرجال ويؤدي بالتالي الى سلسلة من الحقوق بالنسبة للرجل وسلسلة من الحقوق المهدورة بالنسبة للمرأة غافلين عن ان المسألة ليست مسألة نقص وكمال فان الخالق لم يرد بهذه الاختلافات ان يجعل احدهما ناقصاً والثاني كاملاً وبالتالي يكون احدهما ذا حقوق وامتيازات والثاني محروماً)[2].

* * *

ويرى البعض ان الشؤون السياسية تحتاج الى ذكاء والى حنكة سياسية والمرأة ناقصة عقل ودين وعلى هذا فليس من الصحيح ان نسمح للمخلوقة الناقصة في المشاركة في أي شأن سياسي!! وهنا نجد انفسنا بحاجة الى العودة الى تفسير هذا الحديث[3].

---

(١) عبد الله جوادي / جمال المرأة وجلالها / ٣٣.

(٢) مرتضى مطهري / نظام حقوق المرأة في الاسلام / ص ١١.

(٣) لمزيد من التفاصيل يراجع ابو شقه / تحرير المرأة في عصر الرسالة / محمد مهدي

يقول ابو شقه:

لقد فسد تأويل هذا الحديث حتى ظنوا ان المـرأة ضـعيفة العـقل وكأنها بلهاء، بينما الرسولﷺ قد بين النـقص انمـا هـو نـقص في نشاطها العقلي وقدرتها على استيعاب مجال الشهادة في الاموال وهـو مجال بعيد عما تألفه من حياة داخل بيتها ولذلك قبل الرسولﷺ شهادة امرأة واحدة في الرضاع وقرر الفقهاء قبول شهادة امرأتين فيما يخص النساء من امور.

ويقول الشيخ المرحوم محمد مهدي شمس الدين:

ليس المقصود من نقصان العقل في هذه الروايات ان عقل المـرأة ـ بمعنى الادراك السليم للاشياء والقضايا، وحسن التقدير وتدبير الامور ـ انقص من عقل الرجل أي ان المرأة قاصرة عقلياً بالنسبة الى الرجل فهذا مما هو معلوم العدم في صنف النساء بالنسبة الى صنف الرجـال وثبت بالتجربة والعلم كفاءة المرأة عقلياً بهذا المعنى.

فيتعين ان يكون المقصود بهذا التعبير تأثير الجانب العـاطفي عـلى معظم النساء في بعض الحالات ـ وتأثر نمط حياتهن واستغراقـهن في شؤون البيت والاسرة في معظم الحالات.

وهذا ـ ان اثر ـ فانما يؤثر في صلاحيتهن للاستبداد بالرأي في امور ليست لهن بها خبرة ودراية ولكنه لا يؤثر في صلاحيتهن واهـليتهن لتـحمل المسـؤولية في امـور يـتولينها في نـطاق الالتزام بـالقوانـين والشورى.

شمس الدين / مسائل حرجة في فقه المرأة.

وعموماً فهذه الاحاديث ان قيلت لوقت خاص ولمناسبة معينة فهي تفسر انطلاقاً من تلك المناسبة. ومن الواضح ان المرأة متغلبة على الرجل في عاطفتها وهذا مما اودع الله في خلقتها كي تستطيع اداء الادوار الامومية التي يجب ان تكون غامرة بالعواطف والحنان كي يكون الناتج حسناً، وهذه العاطفة الجياشة قد تؤثر احياناً على افكار المرأة ولكنها من المستحيل ان تسلب منها اهليتها الانسانية في الدخول في شؤون السياسة فاحياناً تكون العواطف سلاح نافع في امور لا ينفع فيها غيرها، اما ما فسره البعض ان نقص العقل يعود الى صغر الدماغ (والذي هو احد الاسباب الجمالية في صورة المرأة التي لا يكون رأسها كبيراً بل هو متناسب مع جسمها الذي هو أكثر ظرافة من جسد الرجل) فلا ادري ما هو تفسيرهم للاغبياء والمتخلفين عقلياً من الذين يملكون رؤوساً كبيرة؟

ولا ننسى ابداً أن هناك الاذكياء والاغبياء بين الرجال ونفس الامر بين النساء فترى احمد مظهر يعترض على منع حق التصويت لعامل بسيط لمجرد انه رجل ويسحبه عن امرأة متعلمة قد تكون مديرة مستشفى أو مصنع بحجة انها انثى غافلين عن الكفاءة العلمية والخبرة الثقافية.

ان العصر الحديث بتوفر وسائل التعليم وانفتاحها للمرأة والرجل على حد سواء قد كشف لنا عن قدرات نسائية واضحة فهناك رجال ونساء حصلوا على جوائز نوبل ولكن هذا ليس بالامر الجديد في زمن الدولة العباسية كانت هناك الطبيبات والاديبات والعارفات وكثير

من النساء وصلن الى مراتب عليا في الثقافة والعلم الامر الذي لم يصل اليه الخليفة العباسي نفسه الذي ورث الحكم حتى وان لم يكن اهلاً لذلك افترى نستطيع القول ان هاتيك النساء ليس مسموح لهن ابداء آرائهن أو حتى مشاورتهن في شؤون السياسة وندع الخليفة يفعل ما يشاء لأنه ذكر ليس الا.

وفي الوقت نفسه نرى القرآن الكريم قص لنا عن نساء وصلن مراتب متقدمة في السمو الانساني وتغلبن على (النقص) الموسومة به المرأة، كان فرعون عالياً من المتجبرين وادعى الالوهية وكانت آسية قمة في الكمال الانساني ترفض الملك وطاعة الاله البشري وتحتمل العذاب الاليم لتنال قرباً الهياً، هل هناك من يقول ان فرعون افضل من آسية لأنه ذكر وقد ضرب الله هذه المرأة مثالاً للرجال والنساء على مر التاريخ؟!

وفي عصر الرسالة نساء سبقن الرجال في الايمان والعمل، هل يمكن ان نقول ان مولى سمية كان خيراً منها لأنه رجل وهي انثى، ولا يختلف اثنان ابداً ان سمية اول شهيد في الاسلام وقد مر الرسول ﷺ عليها وهي تعذب مع زوجها فبشرهم بالجنة: (صبراً آل ياسر ان موعدكم الجنة).

انا لا انكر ابداً ان المرأة مجموعة عواطف جياشة، أو بالاحرى كما قال احد الفلاسفة مظهر من مظاهر الرحمة الالهية على الارض، ولكن من الذي قال ان الامور السياسية مبنية فقط على القدرات الجسمية التي يرى البعض ان المرأة محرومة من الكثير منها وقد كانت اسماء بنت

ابي بكر تذهب ليلاً ماشية درباً طويلاً عابرة جبالاً وتلال حتى تصل الى رسول الله ﷺ وهو يتعبد في غار حراء.

يقول العقاد: (ان الامور السياسية لا تعني الحروب دائماً بل ان العصر الحديث لا يحتاج الى مزيد من القسوة والفظاعة بل يحتاج الى مزيد من العطف والمعونة)[1].

وان كانت النساء يستبعدن فكرة الحروب (اذا عممنا الامر) فمعنى هذا ان السلم هو الصورة العامة للعلاقات الانسانية ولكن ما فائدة الحروب سوى انها وسائل لتدمير الحضارات وازهاق النفوس واضافة اكوام بشرية الى مجاميع المعوقين، وربما لهذا الامر يقول (مل) ان العهود النسائية كانت افضل العهود.

يقول غوستان بوتول[2]:

من جهتنا نحن نقدم الافتراض القائل بأن مسائل السياسة الخارجية تستمر مطروحة في صيغ من التعبير شفافة الغطاء عن الحرب والعنف، والنساء بحكم المزاج والمنطق المعروف عنهن، لا يستطعن القبول بهما ولا فهم الفائدة منهما. لذلك تبق الحرب الشاغل الكبير للرجال وشغلهم عندما يقتضي الامر. فكأن الرجل عاجز عضوياً عن الجواب اذا طرح هذا السؤال، اذا لم نحارب فماذا نصنع؟!.

وافضل شاهد على ان المرأة تستبعدها الحرب عن الحكم هو ان الامم عندما تكون حبالى بفكرة الحرب تقصي المرأة عن العمل

---

(١) عباس محمود العقاد / المرأة ذلك اللغز. هل للمرأة ان تحارب؟.

(٢) غوستان بوتول / سوسيولوجيا السياسة ترجمة ص ٧٩.

السياسي)[1].

ونستطيع ان نلمس الفارق بين التفكير الانثوي والذكوري في منطق بلقيس مع قومها فتراهم يتباهون بالقوة الشديدة (ونحن اولو قوة) وتراها هي تجنح للسلم ونجحت في ان تقود قومها الى شاطئ البر والامان بعيداً عن الحروب والدمار.

وترى فرعون يذبح كل وليد خوفاً على عرشه وترى آسية يرق قلبها لموسى عليه السلام وهو في التابوت يسبح بين ماء وشجر، فالعواطف اذا ليست كلها ضعفاً بل قد تكون اقوى واعظم سلاح للمواجهة وترى الحركات السياسية جميعاً حينما تريد ان تصور عدالة قضيتها تعرض صوراً لام الشهيد وللمرأة الباكية والمرأة المجاهدة دلالات على ان وجود المرأة ربما يختلف احياناً عن وجود الرجل السياسي ولكن من الغبن حقاً تجريد المرأة من كل حقوقها.

وقد كان في السابق من يرى ان ضعف المرأة حائلاً لها عن كل مشاركة ولكن الحضارة الحديثة (انثت المجتمع) بمعنى انه لم يعد هناك وجود للاعمال الشاقة فالمرأة الآن تستطيع ادارة منجم ومصنع ليس عن طريق الحركة الجسمية بل عن طريق استعمال الازرار الالكترونية فاذا كان المنجم بكل ما فيه من خشونة وصلابة يراه الكثيرون مكاناً لا يليق بالمرأة فهل الساحة الانسانية التي يوجد فيها الكثير من النساء ومتضرري الحروب والجاهلات بشؤون السياسة والمنعزلات عن المجتمع هي ليست ساحة المرأة بل ساحة الرجل وحده وقد وجدنا

---

(١) غوستان بوتول / سوسيولوجيا السياسة / ص ٨٩ ـ ٨٠.

نساء صدر الاسلام خرجن في الحروب لتضميد الجرحى وتشجيع المقاتلين وما كان الرسول ﷺ ولا اصحابه من المانعين لهذا التواجد.

(واذ كان العنصر الانثوي يختزن بعض الضعف في شخصيتها انطلاقاً من الجانب العاطفي الاكثر بروزاً في مشاعرها، أو الجانب الجسدي الذي لا يستطيع حمل الاثقال كما هو الرجل فان ذلك لا يمنع من تحويل هذا الضعف الى قوة، بتربية الفكر بالمعرفة وتقوية العقل بالممارسة، واضعاف العاطفة بالوعي القائم على مواجهة الامور بطريقة موضوعية من خلال منهج تربوي عملي متوازن، وتدريب الجسم على اكتساب القوة بدرجة معقولة، فقد رأينا في الواقع الكثير من النساء اللاتي يملكن صلابة الارادة وقوة الموقف ووعي الواقع أكثر من الكثيرين من الرجال الذين اهملوا امكانات القوة في شخصياتهم مما يعني ان نقاط الضعف في التركيبة الانسانية ليست من الامور الذاتية المرتبة بالتكوين الانساني الذي لا يقبل التغيير بل هي من الامور الطبيعية القابلة للتكيف والتطور من خلال الجهد الانساني في الدائرة الايجابية أو السلبية)[١].

* * *

كلنا يعلم ان الذكاء قسمين:

١ ـ موروث والذي ينتقل عبر الجينات الوراثية وهذا يستمر في النمو حتى يتوقف في حدود العشرين عاماً. ونستطيع القول ان هذا هبة

---

(١) محمّد حسين فضل الله / مجلة المنطلق / عدد ٦٠ / ص ١٣.

الهية لمن ولد من اسرة ذكية، ولكننا لا نستطيع القول ابداً ان الذكاء الوراثي ينتقل للاولاد الذكور دون الاناث فهذا الامر مرفوض علمياً اولاً ثم انه يعتمد على مقدار تغلب الصفة في الجينات، وعلى هذا فقد تكون الاسرة ذكية ولكن يولد ولد معتوه يرث الصفات المتنحية التي انتقلت اليه من الاباعد.

٢ ـ الذكاء المكتسب والذي يأتي من اكتساب الخبرات والتجارب وزيادة الوعي الثقافي والعملي والعلمي. فنجد اناساً نبغوا في الاربعينات أو الستينات حينما توفرت لهم الاجواء المناسبة، اجواء ثقافية وفكرية وعملية، في حين ان الذكي وراثياً قد يتعرض للانتكاس المستقبلي نتيجة وجود بيئة غير ملائمة، وقد وجد في تجارب التوائم المتماثلة لاثنتين من البنات عاشت احداهما في الريف والثانية في المدينة فوجد ان فتاة المدينة أكثر ذكاء وخبرة وحنكة من فتاة الريف الميالة الى البساطة والسذاجة[١].

وحينما نعود الى السياسة نجد امامنا مصطلح الذكاء السياسي أو الحنكة السياسية والتي تؤهل صاحبها لأن يكون سياسياً حقاً أدرى بالامور واعرف من غيره في مسألة اتخاذ القرارات الصحيحة ولكن يا ترى هل للذكورة والانوثة هنا اثر واضح في مسألة الذكاء السياسي؟ لا ينكر احداً ابداً ذكاء بلقيس وكليوباترا وزنوبيا وخديجة عليها السلام وفاطمة عليها السلام وزينب عليها السلام وسمية، نساء لمعت اسمائهن في دنيا التاريخ ولا يستطيع احد ابداً ان يقول ان الخليفة الامين كان اشد ذكاءاً من

---

(١) الياس ديب / عالم الولد ـ ص ٧٦.

بلقيس، فهذا ما لم يثبته التاريخ ابداً.

كما ان لا احد يستطيع القول ان فرعون اعظم ذكاء من آسية زوجته التي اشترت آخرتها بتاجها وذلك الذي باع آخرته بتاجه وترى فرعون يحاول بكل الوسائل القضاء على الوليد الذي يهز عرشه ولكن ارادة الله تريد ان تصُور للانسان ـ الإله ـ الذكر عجزه فتجعله هو الذي يربي قاتله ليعرف قصوره الانساني.

وترى ام وهب تدفع ابنها للقتال مع الحسين وترى حذلم أو دلهم بنت عمير تدفع زوجها الى اتخاذ قرار حاسم في اللحاق بالحسين رغم الآثار الصعبة وترى الى جانب ذلك من كان مثل يزيد شارباً للخمر غارقاً في المجون أو مثل الكثير من السلاطين الامويين والعباسين الذين ابادوا دولهم واحلوا قومهم دار البوار.

وربما لا اتفق كثيراً مع (مل) حينما يقول:

لا شك ان هناك فروقاً عقلية بين الرجال والنساء ولكنها ليست إلّا الاثر الطبيعي للاختلاف في التربية والظروف الاجتماعية والاقتصادية.

ولكنه يجعلني احتار في موقف آخر حينما يقول:

ومن العجيب ان الميدان الذي لا يسمح للنساء القيام فيه بأي دور ـ وهو ميدان السياسة هو الميدان الذي اثبتن فيه كفاءة عالية ومهارة نادرة، فعن طريق الفرص الضئيلة جداً التي اتيحت لهن والتي جاءت عن طريق الوراثة اثبتن جدارة في الحكم وقدرة على تسيير امور الدولة[1].

---

(١) ستيورات مل / استعباد النساء / ص ٢٥.

ان هناك الكثير من الاعراف الخاطئة ولكنا لا نستطيع تجاوزها أو التنحنح عنها بعيداً لانها هي الحاكمة وارجو ان يفهم القارئ أو القارئة اني لا اقصد بالعمل السياسي هنا الحاكمية ابداً بل اقصد كل انواع واشكال النشاط السياسي ابتداء من الاعلام السياسي الى التصويت والانتخاب والترشيح الى حضور المؤتمرات الى اثارة الاجواء العالمية لصالح قضايانا المصيرية ومنها قضية الاسلام الاولى فلسطين.

* * *

يقول جان ماري في كتابه عالم السياسة حول تربية الاطفال السياسيين:

الرؤية السياسية للافراد تتكون اثناء الطفولة، اقترح ايستون ودينيس نموذجاً قابلاً لأن يؤخذ بالحسبان الطريقة التي يدخل بها الطفل في صلة مع العالم السياسي هذا ويمكن تقسيم هذه العملية الى اربع مراحل:

في الاولى يكتسب الطفل معرفة مبهمة بالحقائق السياسية وفي الثانية تتجسد السياسة في عيني الطفل في عدد من الرجال الذين يعطون لهذا المفهوم مضموناً شخصياً، ان صورة الرئيس تتولى في هذا الصدد دوراً مهيمناً في التصور الذي يكونه الاطفال الامريكيون عن السياسة.

وفي الثالثة نشهد نمو بعض احكام القيم فالافراد الذين يشخصون السياسة يكتسبون قيمة عاطفية وصائبة أو قهرية.

وفي المرحلة الرابعة يكتسب الطفل القدرة على التفكير في السياسة

بعبارات مجردة وبالتالي على ادراك المؤسسات والقيم خلف الرجال الذين كانوا يعدون التعبير المؤقت والمحتمل عنها[1]. الفكر السياسي اذا يبدأ منذ الصغر، ونحن نجد مثلاً ان الملكات اللائي حكمن في التاريخ قد آل اليهن الحكم بعد وفاة زوج أو في حالة الوصاية على الوريث والحاكم الصغير واغلبهن عشن اجواء سياسية خاصة لتواجدهن في البلاط الملكي، فزنوبيا ورثت العرش بعد زوجها وبلقيس كانت من اسرة حاكمة، وكذلك ملكات اوربا، ونفس الشيء يقال عن انديرا غاندي التي كانت تعتبر المهاتما غاندي الاب الروحي لها وقد تلقت اعداداً سياسياً خاصاً من جهة المهاتما ومن جهة والدها لال نهر الذي كان سجينا ولكنه يرسل رسائل سياسية تعليمية لها.

ونعود الى الاسلام فنرى ان خديجة كانت من شخصيات مكة التي يشار اليها بالبنان، كانت تاجرة ذكية فاصبحت مؤمنة واعية ثم وزيرة للاعلام والمالية والخدمات الاجتماعية. وترى الزهراء عليها السلام عاشت في الجو السياسي الحاكم فعرفت القوانين والاحكام القرآنية والسياسية ايضاً باعتبار ان القرآن كان هو الدستور الحاكم ولهذا استطاعت ان تتخذ الموقف المناسب في الوقت المناسب ونفس الامر يقال عن زينب وعن غيرهن. وقد يعيش الفرد ظلماً خاصاً فيحركه هذا الظلم نحو التحرك السياسي كما في حركة الزنوج في امريكا وحركات التحرر النسائي التي انطلقت في نهاية القرن التاسع عشر دفاعاً عن الحقوق الانسانية أو كحركة الرفض التي عاشتها سمية الأمة المستعبدة فجعلتها

---

(١) جان رانكان / علم السياسة / ترجمة د. محمد عرب صاصيلا / ص ١٦٣.

تنادي بالحرية والعدالة وغير ذلك من الشواهد.

اننا نرى اننا في استقرائنا للتاريخ تغير الادوار أو بالاحرى ان الإدوار غيرت لما يتناسب مع مصالح العقلية الذكورية المهيمنة على الساحة، ما بالنا نطرح لنساءنا (قدوة حسنة!) في المرأة الغربية أو المرأة المتحجرة في بيتها والتي قد جردت من شعورها الانساني بما يجري للمسلمين في الساحة الكبرى تعارضاً مع الحديث القائل: (من اصبح ولم يهتم بشؤون المسلمين فليس بمسلم..).

ما بالنا نطمس حضور الزهراء في مؤتمر المباهلة قبل ١٤ قرناً من الزمان ثم نعيش الاعجاب العظيم حينما نرى النساء في المؤتمرات العالمية؟ انه من البين ان عملية اعداد الشخصية السياسية يبدأ منذ الطفولة عبر طرح القدوة الحسنة للنساء المسلمات الاوائل وكيف تحركن في الظروف الحرجة ثم منح الاطفال ـ ذكوراً واناثاً ـ القدرة على التفكير السياسي واتخاذ قرار برسم صورة معينة لموقف ما ونطلب منهم التفكير في قرار معين باتجاهه، واذا كانت مدارسنا وجامعاتنا خالياً من الفكر السياسي واذا كان تاريخنا المدروس في الكتب يطمس الصور المثالية للمرأة المسلمة فكيف نستطيع خلق الشخصية السياسية التي تدافع عن الاسلام امام القوى السياسية الكبرى!

* * *

ورب سائل يقول ان الدور الاساسي للمرأة هو الامومة وان دور الرجل الاساسي هو قيادة الحياة اجتماعياً وسياسياً وثقافياً ولعمري

فان الدور الاساسي للمرأة هو الامومة امر لم يعارضه احد ابداً[1]. ويكفيها شرفاً ان الجنة تحت اقدامها وان الله وصى بها ﴿ووصينا الانسان بوالديه حسناً حملته امه وهن على وهن﴾ (لقمان / ١٤)، ولا اظن ان هناك بديلاً للمرأة في هذا الدور. ولكن لو كان هذا هو الدور الوحيد للمرأة فما بال القرآن الكريم يعرض صوراً للمبايعات والمهاجرات وللملكات وللامثال النسوية العظمى وجلها ادوار لا تدور في دائرة الامومة. ولو كان ذلك هو كله دور المرأة فما باله رسول الله ﷺ لم ينه النساء عن المشاركة في الحروب والطبابة والادب والتعليم، وما بال الاسلام يشجع المرأة على التعلم ومعرفة امور الطبابة والتمريض وعلى شهود مواسم المسلمين ولم تبق نساء الصدر الاول غافلات عن كل ما يجري في ساحة المسلمين بل اذن لهن الرسول ﷺ حتى في الحضور الى دوائر الحرب. المرأة هي الامومة المقدسة امر لا يختلف فيه اثنان ولكن المرأة ايضاً مدعوة لممارسة الدور الانساني المطلوب منها كما مارسته نساء صدر الاسلام ولم تكن الامومة عائق لهن عن ذلك، نحن لا نقول لتتجرد المرأة من امومتها كي تصبح امرأة سياسية فهذا امر مرفوض اصلاً وهو حرب لخلق الله الذي خص به المرأة لتكون اماً وليس لها بديل ابداً، ولكننا نقول ان المرأة المسلمة يجب ان تمتلك حساً سياسياً ووعياً اسلامياً بما استطاعت الى ذلك سبيلاً ـ من باب الا يكلف الله نفس إلّا وسعها ـ وان تدلي

---

(١) وضعت بي نظير بوتو وليدها اثناء الانتخابات وكان لبعض ملكات الانكليز ١٧ ولداً وكان للزهراء (ع) اولاد وكان لزينب عدد من الاولاد.

بصوتها على الاقل فيما يخص شأنها وان لا تجعل الساحة العالمية حكراً على النساء البعيدات أو المعارضات للاسلام. إذ لابد وان يكون هناك وجود اسلامي خاصة الآن وقد اصبح زي المرأة المسلمة مسألة سياسية عظمى تسل الحراب لحربه وقضية سياسية كبرى تدور في المجالس البرلمانية والنيابية، وها هي المرأة المسلمة المحجبة تفصل من وظيفتها ـ حق العمل ـ ومن المدرسة والجامعة ـ حق العلم ـ بسبب الحجاب، هل يمكن بعد كل هذا الظلم الذي يصب على المرأة ان تبقى اختها ساكتة لا تحرك ساكناً من باب انها تهتم فقط بشؤون المنزل والبيت!!؟

لا ننسى ابداً ان احداً لم يجبر المرأة العربية عامة ـ والفلسطينية الآن ـ على المشاركة في حركات التحرر، لقد اندفعت للمشاركة انطلاقاً من يقظة الضمير ومن الاحساس بالمسؤولية ولم تتنازل عن امومتها بل رسمت صورة الامومة المقدسة التي تعلم اولادها منطق الفداء والتضحية بعيداً عن مفهوم الانانية (انا) و(لي) فقط والتي يتربى عليها أكثر ابناء النساء البعيدات عن التواجد العام.

لقد واكبت المرأة حركة الرسالات الالهية وحركة التاريخ البشري مما يدل على ان للمرأة دور عام هو الدور الانساني ولقد اباح الاسلام للمرأة العمل وكانت المرأة تعمل منذ عصر الرسالة وما شغلها ذلك عن امومتها والآن هي ايضاً تعمل وتتعلم.. فالدور الامومي والانثوي لا يلغي ابداً المسؤولية الانسانية على المرأة ثم ان هناك امراً آخر، ان هناك الكثير من النساء غير المتزوجات وهناك الارامل وهناك من ليس لديهن اطفال، أفهل نستطيع ـ بدعوى الامومة ـ ان نحرم هؤلاء

النساء من الاستفادة الصحيحة من وقت الفراغ في تفريغ طاقاتها المخزونة وفي التخلص من عقدة اللاامومة أو اللازوجية في امور تنفع الجميع، فاما ان نهب الحق للجميع واما ان نسقطه عن الجميع بلا استثناء ويبقى للمرأة رأيها في اتخاذ اسلوب العمل الأحسن والأنسب، ويبقى ايضاً لها الحق في تنظيم وقتها والاستفادة من خبراتها من خلال التحرك لتجدد للحياة قوتها وتخطط للمستقبل.

ألا نرى نحن اننا بتحديدنا لدور المرأة في الامومة فقط فاننا نعارض الاسلام نفسه، ونعرض للعالم صورة جامدة لا حراك فيها؟! ثم من قال ان الاب لا شأن له بدور الابوة في الاسرة.

ليس من شك في ان الذين يقولون ان المرأة قد خلقت للبيت لا يفطنون عادة الى ان الرجل قد خلق اول ما خلق زوجاً ولا فرداً أي انه لابد من ان يعيش في اسرة ثم في عائلة ثم في عشيرة ثم في شعب أو أمة.. وان من اوجب الاشياء لضمان حياة هذه المجتمعات على اختلاف ضروبها ان يتساوى النصيفان.. المرأة والرجل في تحمل المسؤوليات والاستمتاع بالحياة وان يسايرا معاً مقتضى ما تتطلب الحياة من ضرورات لتتم صورة التكافل الاجتماعي بين الزوجين في كل نواحي الحياة، فاذا تخلفت المرأة عن الرجل في ميدان من ميادين الحياة سواء أكان ذلك الميدان عقلياً أو انتاجياً كان ذلك من أخص ما يفسد رابطة التكامل التي هي العقدة الاساسية في كل مجتمع انساني[١].

ان للرجل ايضاً دوره الاسري وليس من المقبول عقلاً وشرعاً ان

---

(١) احمد مظهر / المرأة في عصر الديمقراطية ص ٧٩.

يهجر الرجل اسرته، بل ان الواقع يثبت عكس ذلك فها هو الرجل الاب يسعى منذ الصباح الى المساء من اجل تهيئة القوت والحياة الافضل لاسرته فهو يشعر بالابوة وعمله من اجل تدعيم الابوة فـ(الامومة في مسؤولياتها ومشاكلها كالابوة في بعض هذه المسؤوليات والمشاكل وان اختلفت عنها في الطبيعة فيما هو الحمل والارضاع والتربية للاولاد والخدمة لهم وللزوج في البعد الواقعي للمسألة مما لا يعيشه الاب أو الزوج ولا يستغرق فيه غير ان المسؤولية الشرعية التي يحملها الاسلام للزوج والاب في باب الانفاق على البيت الزوجي ورعاية الزوجة والاولاد تأخذ أكثر الوقت وتستهلك أكثر الطاقة فالمسألة في هذه الدائرة العائلية متقاربة في ضغوطها ومشاكلها ولا تقل احداهما عن الاخرى في حجم المسؤولية. غير ان ذلك لا يمنع الرجل من ان يملك بعض حرية الحركة في ممارسة شخصيته كانسان وكمسلم فيما تفرضه عليه انسانيته من نشاطات عامة وخاصة.

ان التأكيد على مهمة المرأة في دور ربة البيت كالتأكيد على مهمة الرجل في دور رب البيت لا يلغي ضرورة التحرك من الخط الانساني الممتد في واقع الانسانية على هدى انفتاح الاسلام على كل قضاياه الكبيرة والصغيرة في استقامة الطريق في خط الاهداف).

* * *

اما مسألة قيادة الرجل سياسياً واجتماعياً واقتصادياً للمرأة، فهذا امر لم يثبت في القرآن اولاً، حقاً ان الانبياء كلهم رجال ولكن لهذا سبب واضح فهؤلاء كانوا رجالاً يعرفهم الجميع فكذبهم المجتمع وحاربهم فكيف لو كانت امرأة ينظر اليها المجتمع بانتقاص ويأدها

ليتخلص من وجودها الانساني هذا من ناحية ثم من ناحية اخرى نرى ان القرآن الكريم يتحدث عن مسألة الولاية والاصطفاء في مريم عليها السلام . فكما انه ﴿اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين﴾ (آل عمران / ٣٣) كذلك هو اصطفى مريم ﴿ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ (آل عمران / ٤٢) وبذلك لأن لم تكن المرأة نبياً لاي سبب كان فقد تمتعت بالقرب الالهي وبالدخول في سلم اولياء الله المقربين، ثم لا ننسى ان التفرغ لهذه الاعمال ـ قديماً وحديثاً ـ هو للرجال أكثر باعتبار انشغال المرأة بأدوارها الامومية والتي تأخذ منها وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً.

اما في مسألة القوامية، قوامية الرجال على النساء والتي قد جعلها البعض ـ مع الاسف ـ دليلاً مطلقاً على قوامية الرجل على المرأة في الشؤون العامة كلها فهذا امر يحتاج الى تجديد النظر.

فأولاً ان مسألة القوامية هي فقط في الحياة الزوجية لأن الازواج ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم﴾ (النساء / ٣٤).

هنا انفقوا.. (بما انفقوا) وليس هناك أية ولاية اخرى للرجل على المرأة إلّا في حالتين:

الاولى ـ عند زواج البكر وهي ولاية ليست مطلقة أو استبدادية بل هي في حدود النظر لمصلحة البنت.

الثانية ـ ولاية الزوج على زوجته في حق الاستمتاع[1].

---

(١) راجع محمد مهدي شمس الدين / مسائل حرجة في فقه المرأة / ص ١٨ ـ ١٩.

ان الاسلام اكرم المرأة لم يجبرها حتى على العمل المنزلي كي تنطلق الى حياتها الاسرية بدافع الرغبة والتطوع لا بدافع الجبر والقوة هل يمكن ان يرضى لاحد بتجريدها من حقوقها الانسانية؟ هذا من ناحية ثم ان التفضيل في الآية: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ (النساء / ٣٤) ليس من باب ان الرجال أحسن من النساء ابداً، وانما الفضل هنا يأتي من باب الزيادة في الشيء فهم لانهم انفقوا على زوجاتهم واسرهم يتمتعوا بحق القوامية والقوامية الاسرية ولو لم يكن شرط الانفاق لما كان هذا التفضيل وللأسف فان الكثيرين يجعلون هذا التفضيل هو مقياس التفاضل ناسين أو متناسين ان الله فضل الناس بعضهم على بعض في الرزق فهناك الفقراء والاغنياء ولكن يا ترى هل جاء هذا التفضيل في الرزق من باب المفاضلة الانسانية والكرامة البشرية؟ ابداً فنحن نرى ان انبياء الله وهم خير البشر جلهم كانوا فقراء.. وكان فيهم من يرعى الاغنام ـ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموسى عليه السلام ـ وفيهم الفلاح والخياط وصانع الجرار فالافضلية هنا هي عينها التي هناك.

ويحاجج آخرون بأن المرأة دون الرجل في كل شيء ويقول بعض الكتاب المسلمين ـ للاسف ـ ان المرأة نصف انسان ويقرر ذلك في ضوء آية الميراث ﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾ (النساء / ١٧٦) وآية الشهادة ﴿فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء﴾

محمد حسين فضل الله ـ دنيا المرأة

مجلة المنطلق ـ عدد ٦٠.

(البقرة / ٢٨٢). وبذلك اصدروا حكماً عاماً ان المرأة نصف الرجل ناسين انهم بتفسيرهم الخاطئ لآيات القرآن فانهم يحاربون الاسلام ويسددون سيوفهم الى وجوده العظيم.

اما آية الميراث، فقد كانت المرأة الجاهلية لا ترث شيئاً والآن الارث في الغرب يذهب للابن الاكبر ويحرم الباقون ولا يأخذو منه شيئاً (وعلى تفسير هؤلاء يكون الواحد من الاخوة هنا صفر انسان)!!.

فلما اقر الاسلام الميراث جعل الانفاق على الرجل حتى لو كانت المرأة غنية موسرة واعطاها الحق الكامل في التصرف باموالها حيث تشاء (هذا الحق منح للمرأة في بريطانيا عام ١٨٨٢).

وعلى هذا فالرجل ينفق نصف ماله على المرأة (اختاً، بنتاً، زوجاً) والمرأة تحتفظ بمالها فالمردود عكسي أي انها هي التي ملكت الضعف.

اما بالنسبة للشهادة فهو من باب التذكير عند النسيان، وليس لانها نصف انسان بل هناك موارد خاصة في الحالات التي تتعلق بالقضايا النسائية تقبل شهادة المرأة وحدها دون حاجة الى الرجل مما يؤكد ان المرأة انسان كامل الحقوقية[١].

وربما يأتي الامر من مهمة الامومة نفسها فالمرأة المشغولة في بيتها مع اطفالها وزوجها قد تنسى وتضيع افكارها في شتات كثيرة، وتراها وهي في المحكمة ـ وحتى في المدرسة والمعمل والشارع ـ تعيش التفكير باولادها وصغارها الامر الذي لا يعيشه الرجل بتلك الصورة ابداً

---

(١) محمد حسين فضل الله / دنيا المرأة / ص ١١٧.

فالمرأة ـ خاصة الام ـ مشغولة الذهن دائماً.

اما عن دونية المرأة فهل هي قضاء وقدر الهي لا نستطيع الاعتراض عليه ام انه ناشئ من التربية؟

قديماً كان يظن ان المرأة مخلوق سلبي بطبعها والرجل مسيطر ناشط ايضاً بطبعه أي بالوراثة ولكن السبب يعود الى التربية المتأثرة بثقافة ذلك المجتمع.

لذلك نورد مثالاً عن قبيلة ارابش في غينيا الجديدة يكون المثل الاعلى هو الرجل الوديع الرقيق المسالم السلبي وكذلك المرأة وتقريباً لا توجد فوارق بين الجنسين واضحة اذ أن كلا الجنسين ذو طبع انثوي لين.

وفي قبيلة موندو جومر التي تجاورها فالمثل الاعلى الرجل الخشن العدواني المقاتل المنتقم وكذلك المرأة فهي تقوم بكل اعمال الرجل ولها مثل صفاته.

في قبيلة تشامبولي التي تجاور هاتين القبيلتين فالمرأة هي العنصر المسيطر الغالب المتصرف في الامور فهي تقوم بصيد الاسماك ونسج الشباك وغيرها من اعمال الرجال في حين ان الرجل يهتم بالرقص وشؤون الاطفال والنقش رغم ان النظام فيها ابوي السلطة للرجل وهو الذي يبيح له تعدد الزوجات[1].

اذا كانت المرأة دون الرجل لانها تقوم بمهام الاسرة فهذا امر مرفوض لأن الله خلقها لهذا الامر، واذا كانت خلقة المرأة هي سبب

---

(١) د. احمد عزت راجح / اصول علم النفس / ٥١٤.

دونيتها فهذا احتجاج على خلق الله ولعمري ان ما تقدمه النحلة الصغيرة لمجتمعات النحل والبشر يفوق كثيراً ما يقدمه الفيل لقومه او لنا، فخلقة المرأة هي آية مباركة من آيات جمال الخالق تتجلى فيها اروع معاني الابداع والفن.

اذن فما تعيشه المرأة من دونية وما تعانيه من تخلف ليس هو القضاء والقدر الذي لا بد منه في حياتها بل هو نتيجة الاهمال الكبير لعناصر القوة والوعي في تربية شخصيتها وبناء وجودها كما هو في الرجل الضعيف في فكره المتخلف في وعيه وحركة حياته فان ذلك ليس ناشئاً عن طبيعة في الذات في هذه المنطقة أو تلك بل هو ناشئ من تقصير في تهيئة عوامل التقدم والقوة في الظروف المحيطة به[1].

اننا نرى ان غرز الشعور بالدونية عند البنت يبدأ منذ سن مبكرة، فترى الطعام الجيد للذكور والباقي للاناث في حين ان العكس يجب ان يكون هو الصحيح لأن الانثى امامها مسؤوليات ـ امومية ـ في الحمل والولادة والرضاعة وتحتاج الى البناء الهيكلي الجيد فلابد من غذاء جيد، كما ان فرص التعليم للنساء متأخرة عن الرجال، لقد منعت الجامعات الاوربية تعلم النساء فيها حتى اعوام متأخرة[2] في حين جعل الاسلام طلب العلم فريضة على المسلم والمسلمة ورغم اني لا انكر ان هناك مهام يضطلع بها الولد الذكر ـ لذكوريته ـ وربما قد لا

---

(١) محمّد حسين فضل الله / المنطلق ٦٠ / ص ١٣.

(٢) فجامعة اكسفورد تأسست عام ١١٦٧ ولكنها سمحت للنساء بالالتحاق فيها عام ١٨٧٨.

تنسجم مع انوثة الفتاة ولكن هذا ليس لانها دون الذكر ابداً.

ويرجع الكثيرون دونية المرأة الى عدم تمتع اولادها باسم اسرتها ولعمري لو كان في الامر تفاضلاً فماذا ذاك إلّا جاهلية وحسب رسول الله ﷺ ان تكون له بنت هي سيدة نساء العالمين وحافظة نسله الى يوم القيامة ولكن الاسلام انصف المرأة فلم يجردها من لقبها كما فعل الغرب بل تبقى محافظة على اسمها ولقبها.

سنصل الى نتيجة مفادها ان الدونية ليست متأصلة في المرأة بل هي حالة ظالمة اوجدتها الاعراف البالية والافكار المتخلفة كي تستطيع تعطيل نصف المجتمع عن اداء الدور الانساني المطلوب منها.

اننا نجد حتى في تربيتنا للبنت فاننا نشجعها على ان تعرف امور الزينة والتجمل أي نركز فيها مسؤوليتها الانثوية لكننا لا نشجعها ابداً - ان لم ننهرها - عن المناقشة في قضايا عامة سياسية أو اجتماعية أو ثقافية ونؤكد لها ان هذا ما لا يعنيها لانها بنت في حين كلنا اذان صاغية اذا ابدى الولد الذكر ملاحظات حول نشرة اخبار ونعتبر ذلك دليل الوعي. لقد كانت الزهراء على صغر سنها ذات وعي سياسي عظيم بسبب انفتاح العلاقة بينها وبين ابيها، كانت ترى جراحاته التي يسببها المشركون له فتتألم وتبكي ويصبرها الرسول ﷺ قائلاً: (ان الله ناصر ابيك)، وكانت معه في كل حادث وموقف حتى قال عنها انها ام ابيها. لقد منحها الرسول ﷺ الاعتزاز الكامل بشخصيتها الانسانية، وهذا ما جعلها تكون رائدة جهادها الواضح رغم عمرها القصير فالتربية اذن هي التي تركز الشعور بالدونية. ونحن نرى ان

التفاضل في الاسرة حتى بين الابناء الذكور يجعل الطفل المفاضل عليه سلبياً امام الامور الحياتية ويجمده احساسه بالعجز والدونية عن كل انطلاقة في مجال التطور والرقي الاجتماعي ولا ننسى ابداً ان نظرة الزوج الى الزوجة وتأكيد دونيتها هي ايضاً تضيق المجال امام البنت لتعميق الشعور بالدونية باعتبار ان القدوة لها هي الام.

وفي الدراسات العربية وجد ان الاناث في مرحلة المراهقة يسيطر عليهن الاحساس بعدم المقدرة والعجز عن اللحاق بالذكور الذين تهيأت لهم كل الفرص التي لم تسنح للاناث[1].

ولا ادري كيف ينظر البشر الى المرأة كمخلوق متدني وقد جعل الله الاجر والثواب والعقاب واحداً لكلا الجنسين ﴿فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى﴾ (آل عمران / ١٩٥) وقد جعل التكليف واحداً في كل المجالات مع تغيرات طفيفة في بعض الموارد رعاية للفوارق الجسدية بينهما كفرض الحجاب وعدم ايجاب الصلاة عليها في المسجد.

لقد حاول الاسلام تخفيف الشعور بالدونية عند البنت عبر الدعوة الى اكرامها واظهار المحبة لها في الحديث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام البنات حسنات والبنون نعمة فانما يثاب على الحسنات ويسأل عن النعمة[2].

ودعا الاب اذا ما دخل البيت حاملاً شيئاً ما ان يبدأ بتقديمه الى

---

(١) سهير لطفي وآخرون /المرأة ودورها في حركة التحرر العربية /ص ١٢٨.

(٢) الحر العاملي / وسائل الشيعة /ح ١٥ /ص ١٠٤.

الاناث قبل الذكور، وفي حديث آخر

ان الله تبارك وتعالى على الاناث ارأف منه على الذكور وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلّا فرحه الله تعالى يوم القيامة)[1].

* * *

والبعض الآخر يأخذ الآية الكريمة ﴿وقرن في بيوتكن﴾ (الاحزاب / ٣٣) حجة دامغة على وجوب بقاء المرأة في البيت، ونفي كل اهتماماتها السياسية والاجتماعية والثقافية، وهناك فارق كبير بين ان نقول ان الاسلام اوجب على المرأة البقاء الدائمي في البيت وبين ان نقول ان الاسلام دعا المرأة الى اتخاذ البيت مقراً ومستقراً لها ولكنه ايضاً رسم طريقة الخروج الى المجتمع عبر الحجاب وغض البصر وطريقة الكلام مع الرجل الغريب.

لقد اختلف القرّاء في قراءة قوله ﴿وَقرنَ في بُيوتِكُنَّ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين: (وقَرنَ) بفتح القاف، بمعنى: واقررن في بيوتكنّ، وكأن من قرأ ذلك كذلك حذف الراء الاولى من اقررن، وهي مفتوحة، ثم نقلها الى القاف، كما قيل ﴿فَضلتُم تَفكَّهُونَ﴾ وهو يريد فظللتم، فأسقطت اللام الاولى وهي مكسورة، ثم نُقلت كسرتها الى الظاء. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة (وَقِرنَ) بكسر القاف، بمعنى: كن أهل وقار وسكينة (في بُيوتِكُنَّ)[2].

---

(١) الكليني / ح ٦ / ص ٦.

(٢) الطبري / مجلد ١٢ / ص ٣.

لقد جعل القرآن الكريم الحبس بالبيت والسجن فيه عقوبة لمن تأتي بالفاحشة كما هو مذكور في الآية:

﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نساؤكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾ (النساء / ١٥) اما مسألة القر فقد اختلف فيها المفسرون كثيراً.

فقد جاء ان قرن من وقر يقر أي ثقل واستقر وليس معنى هذا الامر ملازمة البيوت فلا يبرحنها اطلاقاً انما هو ايماءة لطيفة الى ان يكون البيت هو الاصل في حياتهن وهو المقر وما عداه استثناء طارئ لا يثقلن فيه ولا يستقررن انما هي الحاجة تقضي ذلك. والبيت هو مثابة المرأة التي تجد فيها نفسها على حقيقتها كما ارادها الله تعالى غير مشوهة ولا منحرفة ولا ملوثة ولا مكدودة في غير وظيفتها التي هيأها الله لها بالفطرة[1].

وبعض المفسرون اعتبر الآية خاصة في نساء النبي ﷺ باعتبارهن قدوة النساء وآخرون قالوا انه ليس امر بالمنع من الخروج من البيت انما هو نهي عن الخروج مع التبرج.

(وقرن أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن منها كما تخرج بقية النساء هل هو امر يحبسهن فيها كما هو المعنى الحر في للكلمة أو هو كناية عن عدم الخروج الاستعراضي الذي يظهرن فيه بطريقة لا تتناسب مع كمال المرأة من تقواها الاخلاقي وذلك بخروجهن بزينتهن فيكون مقدمة لقوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى فيما كانت فيه المرأة في

---

(١) سيد قطب / في ظلال القرآن / ح ٦ / ص ٥٨٢.

الجاهلية التي سبقت الاسلام عندما كانت تخرج الى مجتمعات الرجال ونواديهم بكل زينتها في وضع غير لائق بالضوابط الاخلاقية في هذا المجال وبذلك تكون الفقرتان واردتين في الحديث عن عدم الخروج من البيوت بالطريقة التي تخرج بها النساء في الجاهلية لا عدم الخروج اصلاً لأنه لم يعهد المنع المطلق من الخروج في حديث السيرة النبوية وربما كان كناية عن الثبات في البيوت فيما يمثله البيت من مكان الاستقرار للمرأة في دورها الطبيعي الذي يتصل بالامومة من جهة ورعاية الزوج من جهة اخرى والاشراف على الاسرة)[1]. وقد جاء في الرواية عن عائشة قالت: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال يا سودة اما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين فاخبرت ذلك رسول الله ﷺ فقال ﷺ: (اذن لكنّ ان تخرجن لحاجتكن)[2].

ومن الواضح ان اعتراض عمر كان على خروج زمعه لأنه ظن ان القر دائمي وابدي وان المرأة لا تخرج لامر ما فجاء الاذن الالهي بالخروج، وهذا دليل صريح على جواز خروج المرأة لامر ما، وقد كانت النساء يخرجن ويعملن في زمن رسول الله ﷺ وما كان الحجاب أو آية القر تمنعهن من ذلك.

وقد جاءت ادلة عديدة على اشتراك النساء في بعض الغزوات ولم

(١) محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن / جلد ١٨ / ص ٣١٥.

(٢) البخاري كتاب التفسير آية لا تدخلوا / ح ١٠ / ص ١٥٠

مسلم كتاب السلام باب اباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الانسان و٧ ص ٦.

يمنعهن الحجاب عن ذلك.

ونحن نرى ان المسلمات في صدر الاسلام كن يذهبن الى المسجد ويشاركن في تضميد الجرحى فاذا كانت هذه الآية تعني البقاء الابدي في البيت فاننا لم نقرأ أو نسمع رد لرسول الله ﷺ على خروجهن وتركهن الدار. (ان انطلاق المرأة ومشاركتها في الحياة الاجتماعية وما يترتب عليه من لقاء الرجال هو نهج قررته الشريعة وسنة الرسول ﷺ وهو يعلم ما فيه من تيسير ومن عون على الخير ويعلم ما في خلافه من تضييق وحرج فضلاً عن الحرمان من الخير في احيان كثيرة، على ان هذا الانطلاق ما كان ليعوق المرأة المسلمة عن اداء مسؤوليتها الاولى نحو بيتها وولدها بل كان معيناً على انضاج شخصيتها ومن ثم على كمال اداء تلك المسؤولية والمسؤوليات الاخرى التي يمكن ان تقع على عاتق المرأة في الحياة الاجتماعية ولقاؤها الرجال ـ سواء العفوى منه أو المقصود لتحقيق غرض صالح ـ سمتاً عاماً للمجتمع المسلم في المجالات العامة والخاصة[1].

وعلى هذا لا نستطيع القول ان القر هو الحبس فامر الحبس للمرأة قد ورد في القرآن عقوبة لمن تأتي بالفاحشة، وكانت المسلمات في عصر الرسالة يذهبن الى المسجد والى اماكن التعلم والحج ويشاركن الرجال في الحروب (ليس بمعنى ان تحارب فحسب) بل في طهي الطعام وسقي العطاش. وقد خرجت الزهراء عليها السلام. للمباهلة، وكانت امرأة المجادلة في السوق لما رأت الرسول ﷺ واشتكت حالها له وعلى هذا لا

---

(١) عبد الحليم ابو شقه / تحرير المرأة في عصر الرسالة /ح ٢ /ص ١٥.

نستطيع البت ابداً بحبس المرأة، واذا كان الحبس هو المقصود فلماذا يرسم القرآن للمرأة آداب الطريق والخروج من البيت في غض البصر وارتداء الحجاب وعدم الخضوع بالقول، أ ليست كل هذه دلائل على ان خروج المرأة لامر ما هو مباح ولكن يبقى البيت هو جنة المرأة التي تحرسها.. وهذا القول لا يناقضه احد ابداً حتى المرأة التي تعمل خارج البيت تراها تحسب الساعات لعودتها الى عشها الدافئ والى زوجها واولادها فالحض على ان تقر المرأة في بيتها ليس معناه ان تسجن فيه وان تكون رقيقة مسلوبة الحرية مسلوبة من كل معاني الحياة ولكن معناه الصحيح ان البيت هو اقدس الاشياء وانه السكن والمأوى[1].

ولكن عادة (حبس المرأة) هي من التقاليد البائدة التي رسخت في اذهان الناس وجلها يعود الى التربية الخاطئة التي تكرس الاحساس لدى الرجل بملكية المرأة اماً، اختاً، زوجة، بنتاً ايا كانت في حين لم يسلم الله احداً ملكية احد مهما كان فالانسان ـ رجل ام امرأة ـ حر في افكاره واعماله وهو ليس عبداً أو امة يحجر عليها صاحبها أنى شاء. وهذه التقاليد التي جاءت موافقة للعقلية الذكورية في مجتمعاتنا جعلت الرجل يحاول بشتى الوسائل تأويلها مستنداً على آيات الكتاب والسنة كي يسبغ عليها طابع القداسة ولهذا لا تكاد تسمع للمرأة المسلمة همساً أو حركة طول ١٢ قرناً من الزمن، حتى العلم منعوه عن المرأة بحجة (القر) ضاربين عرض الحائط (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ولهذا حتى بداية القرن العشرين لم تكن هناك مدارس للبنات

(١) احمد مظهر / المرأة في عصر الديمقراطية / ص ١١٨.

مما افسح المجال للهيئات التبشيرية ان تستفيد من التفسير المغلوط للدين فتفتح مدارسها لتربي فتيات الاسلام على مناهجها!! ترى من الخاسر طوال هذه الرحلة الطويلة المرأة ـ الاسرة ـ الرجل ام المجتمع كله بكل فئاته وطبقاته؟. وعاشت نساؤنا جاهلية صماء لم تفهم ما هو المطلوب منها في الحياة ولهذا سرعان ما انسلخت نحو تقليد المرأة الغربية التي اعجبت بها وبحركتها ضاربة عرض الحائط كل التاريخ العظيم لنساء الاسلام والسبب يعود الى الخواء الفكري الذي مهد له الرجل كي يبقى حاكماً على المرأة.

ونحن نرى ان المرأة في عصرنا الحديث قد خرجت لتتعلم وتعمل فاصبحت هناك الشاعرات والطبيبات وهذه كلها مفاخر للاسلام، ولننظر الى قضية الحجاب واقول لو كانت المرأة محجورة في بيتها هل فهمت معنى الحجاب؟ وهل سعت للدفاع عنه؟ ونحن نرى ان النساء المؤمنات يخرجن في تظاهرات حاشدة دفاعاً عن امر يخصهن قد قررته الشريعة. فاذن خروج المرأة للعلم والتعلم قد افهمها من هي وكيف يجب ان تكون وما هو الزي الذي ترتديه. ولأن انحرفت النساء عن المسار الصحيح في احايين كثيرة فاللوم اولاً على الذي اساء الى الاسلام بسوء تأويله لآياته وكلماته.

* * *

وترى المرأة المعاصرة قد اثبتت كفاءة واضحة في كافة المجالات. واذا كانت المرأة اهل لأن تكون كاتبة ومعلمة وطبيبة ومهندسة كومبيوتر، أفلا تستطيع ان تكون شخصية سياسية فتدعوا الى التظاهرات وتقيم المؤتمرات وتنشر الاعلام السياسي الاسلامي المحامي

عن المرأة، كلها امور لا نستطيع ان ننكر قدرة المرأة عليها إلّا اذا عشنا تناقضاً في ذاتنا بين ما نفكر وما هو المطلوب منا كمسلمين.

وهناك نقطة جديدة بالملاحظة ان العمل السياسي بحد ذاته ـ كما هو العمل الاجتماعي والثقافي ـ متعدد الوجوه وتستطيع المرأة ان تتكيف مع العمل المناسب لها في البيت مثلاً اذا كانت مثقلة بأسرة واطفال، فالمهم ان لا تكون بعيدة عن ساحة الاسلام خاصة وامام سيل الدماء المتدفقة في بلاد المسلمين في فلسطين وغيرها وامام الهجوم الاستكباري العنيف المتصدي للقضاء على الاسلام لاكدين وطقوس وعبادات بل كقدرة سياسية عالمية تقف الآن في مواجهة قوة امريكا، ألا نرى اننا نهدر نصف طاقات المجتمع القادرة على رفد مسيرة الصحوة الاسلامية بما هو أحسن وأفضل.

اننا بحاجة الى طرح الصورة المشرقة للمرأة المسلمة الى العالم. المرأة التي لا تعيش فقط لنفسها وزينتها ابداً بل هي ايضاً مع المسلمين في كل مكان تتفاعل وتعايش وتعاضد ودعاء وسند.. وبهذا نستطيع ازاحة الركام الاسود الذي صبه الاستكبار على الاسلام بدعوى انه اضطهد المرأة.. وهو الذي اعتقها من الرق ومنحها حريتها كاملة.

المرأة والسياسة

ترى ما هي جدوى مشاركة المرأة في العمل السياسي، واذا ما اهتمت المرأة بالاموز السياسية فهل هناك آثار أو انطباعات معينة تترك على شخصيتها سلباً أو ايجاباً.. واذا كنا ندعو لامر ما فحتماً

هناك متعلقات به، ولهذا لا بد ان ندرس تأثير المشاركة السياسية على المرأة نفسها:

١ ـ في البدء الاستجابة للفروض الالهية سواء في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أو في الطاعة والنصر.. أو في متابعة شؤون المسلمين فهذه كلها تجعل المرأة ـ الانسان ـ عموماً تعيش الشعور الوجداني بمفهوم الطاعة الالهية فالاهتمام بالسياسة قد يكون واجباً على كل النساء كما هو الآن في دعم النساء المسلمات لنساء فلسطين وبقية نساء الدول التي تعيش صراعات من اجل التحرر والقضاء على الظلم وقد تكون بعض الامور مقصورة على بعض منهن كالوزارة وغيرها ولكن كلنا يعلم ان انطلاق الفرد الى الحياة العامة وهو يعيش الاحساس الكامل بانه يتحرك ضمن دائرة الطاعة الالهية فانه يعيش القرب الالهي ويرفع نفسه نحو التكامل الانساني، وبهذا تطرح الى الساحة العامة صورة المرأة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر الداعية الى الخير والمتحركة في اتجاه الاصلاح.

٢ ـ تحقيق الذات وبناء الشخصية الايجابية ومن خلال هذا الفهم يتعمق الشعور بالمسؤولية في الحياة، وهذا له اثر نفسي عميق على الشخصية السوية وتوازنها النفسي والاجتماعي ويخلصها من الشعور بالحقارة والدونية والضعف وبالتالي يغمرها احساس بقوة العقيدة والاعتزاز بالمبدأ.

٣ ـ العمل السياسي يعني المشاركة في انتخاب الشخص اللائق والترشيح في مواقع القدرة وابداء الرأي في مواقع صنع القرار له اثر

على الواقع الاجتماعي والسياسي للمرأة في المجتمع وقد لاحظنا ان اشتراك النساء في كثير من بلاد العالم سواء في الانتخابات أو في المظاهرات أو غيرها جعل المرأة تعيش التفهم الحقيقي لمتطلبات المجتمع، وعمق عندها الشعور بانها من هذه الدائرة الاجتماعية الكبرى.

٤ ـ العمل السياسي يحتاج الى ساحة وهي المجتمع وعلى هذا فالعمل في المجتمع ـ وخاصة السياسي منه ـ يخلص المرأة الانسان من الانانية والاستغراق في الانا وحب النفس وتجعله يعيش هموم الآخرين ومتطلباتهم وهذا من اهم ما حرصت عليه الشريعة المقدسة عبر عدة فروض من جهة ومن جهة اخرى يفعّل مفهوم الحديث الشريف (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).

٥ ـ زيادة الوعي السياسي النسوي يسلط الضوء على قضاياهن المصيرية وعلى متطلبات الواقع المعاصر وبالتالي تفهم لوضع المرأة نفسها والمراد منها.

٦ ـ مشاركة النساء في انواع النشاطات السياسية يؤدي الى ظهور المرأة السياسية التي تمتلك افقاً سياسياً وفكرياً واضحاً.. وهذا:

١ ـ يرفد المجتمع بالكفاءات السياسية القادرة على الترشيح.

٢ ـ يرفد المجتمع بالكفاءات السياسية القادرة على المشاركة في المؤتمرات العالمية وخاصة النسائية منها والتي تبرز فيها الحاجة الماسة الى وجود المرأة السياسية المسلمة القادرة على الجدال والنقاش دفاعاً عن بيضة الاسلام.

٣ ـ يعطي الانطباع الحسن عن الاسلام بانه نصر المرأة ولم يظلمها، ويسلط الضوء على الحقوق الممنوحة لها قبل ١٤ قرناً من الزمن والتي ما تعبت من اجل الحصول عليها ولم تخض معتركاً سياسياً طويلاً كما هو الحال مع المرأة الغربية.

٤ ـ يمنح الامل في امكانية تجدد الادوار النسائية المشرقة للنساء المسلمات في صدر الاسلام.

٥ ـ يخلق الذعر في قلوب المستكبرين ويؤذن بافول افكارهم السود حول الاسلام.

٦ ـ يهيء مستقبلاً لا نشاء الهيئات والمنظمات النسوية القادرة على احتواء النساء المسلمات ومشاكلهن ومشاريعهن في كل مكان.

٧ ـ الاثر الاسري باعتبار تعدد الادوار التي تلعبها المرأة من جهة وباعتبار ان التربية والامومة هي الميدان الاول لجهاد المرأة ووظيفتها المقدسة، ويمكن للمرأة اذا كانت على وعي سياسي واضح ان تعد اولاداً مثلها بهذا الوعي يعيشوا التفكير في قضايا الامة المصيرية، ليس هذا فحسب بل ان المرأة الواعية هي التي تدفع زوجها وولدها الى المشاركة في كل عمل سياسي يطلبه منه الاسلام والضرورة كما في شخصيات النساء المسلمات في صدر الاسلام وبعده ولنا صورة حاضرة في المرأة الفلسطينية وجهادها الدوؤب مع افراد اسرتها لطرد الصهاينة من أرض المقدسات.

٨ ـ الوعي السياسي الاسلامي مرتبط بالوعي الديني المنبثق في مفهوم خلافة الانسان على وجه الارض وله علاقة وثيقة بحركة

الانبياء وبالاخص خاتمهم محمد (ص) ومعنى هذا تعميق الشعور الديني لدى الفرد امرأة أو رجل وبالتالي طرح جديد لمفهوم الاسلام الصحيح الاسلام السياسي القادر على صياغة الحكومة العادلة في الدولة الفاضلة، الاسلام السياسي الذي هو البديل المطلوب للافكار الدخيلة على مجتمعاتنا.

٩ ـ الاستفادة الصحيحة من الوقت، فمها كانت مسؤولية المرأة في الاسرة أو العمل كبيرة فان العمل السياسي يجعلها تفكر في تنظيم الوقت تنظيماً صحيحاً يمنحها اوقاتاً فارغة تستعين بها على مشاركاتها الاجتماعية والسياسية والثقافية.

١٠ ـ تعزيز الشعور بالانتماء بانها جزء من الامة الاسلامية الكبرى وهذا يمنح القوة والفخر والشعور بالاصالة والقدرة على استعادة الدور المفقود وبالتالي ينمي الروح الجماعية ويؤصل الهوية الاسلامية ويعزز مبدأ الاسلام القائل ﴿اشداء على الكفار رحماء بينهم﴾، فالمرأة المسلمة لا بد وان تعيش هم اختها المسلمة في كل بقاع العالم. ولابد ان يغمر شفتيها دعاء دائم بنصرة الاسلام ودحر الظالمين.

١١ ـ تقوية روح الايثار من خلال النشاط السياسي الذي يسعى لاعانة ومساندة متضرري الحروب واسر الشهداء والمعوقين ومشاركة الآخرين في الاحزان والنكبات هو سبيل الوحدة الاسلامية.

١٢ ـ انشغال المرأة بامور هادفة وزيادة وعيها السياسي والثقافي يؤدي الى تدمير الخرافات التي تسيطر على عقول الكثيرين والكثيرات والتي تجد لها رواجاً واسعاً في حالات الفساد السياسي والاجتماعي.

١٣ ـ هدف العمل السياسي هو اصلاح الاوضاع الحاضرة، وهذا يؤدي الى تحسين وضع المجتمع كله ويـؤصل لدى المـرأة الاحسـاس العميق بانها فرد فاعل في المجتمع.

١٤ ـ الغاء الشعور بالدونية لدى المرأة عبر انشطتها المتعددة.

معوقات العمل السياسي النسوي

لكل عمل معوقات، واذا كان هذا العمل قد تأخرت فيه الجـموع البشرية قروناً فمعنىٰ هذا ان معوقاته متأصلة الجذور واذا كانت آثار هذا التعطيل البشري تمـتد لتشمل مساحات مئات مليونية من الناس فان النتائج ستكون صعبة وحرجة للغاية، ولكن رغم كل ذلك فما على المرء إلّا السعي الحثيث لترشيد دور المرأة السياسي في المجتمع وتخفيف آثار هذه العوائق القاعدة على الصراط ومنها:

١ ـ التقاليد الخاطئة

التي توارثناها والبسناها ثوب القداسة والدين منها بـراء وتـزداد الصعوبة حينما نحاول الانفلات من هذه التقاليد البـائدة التي يـرفضها العقل والدين فهنا ستكون الحراب قاسية ولكن لابد من التغيير.

٢ ـ الفهم السلبي والخاطئ للدين

وتصور الاسلام على انه مجـرد طـقوس وعـبادات وان المـرأة في الاسلام مأمورة بالبقاء في البيت وعدم مشاركتها في امور الحياة العامة وتفسير آية القوامة بانها ملكية خاصة تمنح للجميع على المرأة وكأنها دعوة للاستعباد والرق.

٣ ـ قبول المرأة بواقعها الاليم

بعد قرون طويلة من التجمد والتحجر، رضيت المرأة بما آلت اليه ولم تعد تفكر في تحسين حالها ابداً.. وانتقل هـذا الجـمود الى بـناتها وحفيداتها جيل بعد آخر ورضا المرأة بأوضاعها المتدهورة يجد مباركة وتأييداً من الرجـل المـتخلف الذي يسـتطيع مـن خـلال ذلك ابـقاء حاكميته على المرأة. وفي الواقع فأن فهم المرأة لواقعها المتخلف ودورها في تحسينه هو المنطلق نحو تحسين الاوضاع العامة.

٤ ـ الدعوات الحديثة

التي انطلقت تحت شعار حقوق المرأة ومساواتها بالرجـل وحـرية المرأة المطلقة قد اوجد تضييعاً للكثير من مفاهيم الاسلام الصـحيحة ورسمت هوية جديدة لنسائنا.. وان كانت نساء اليوم يجاهدن من اجل اعادة الزي الاسلامي بعد ان جاهدت جداتهن لرفـعه فأن شـخصية المرأة المسلمة مازالت مختلطة بالكثير من المفاهيم الخاطئة مما يؤثر على امتلاك هوية اصيلة.

٥ ـ سلطة الرجل

باعتبار ان مجتمعاتنا مجتمعات ذكورية تهيمن عليها عقلية سلطوية فليس من السهل انتزاعها أو تغييرها من جهة ومن جهة اخرى فان الرجل الذي بقي حاكماً على السلطة قروناً يجد من العسير ان يـتقبل المفاهيم الاسلامية الصحيحة ولهذا فهو يـبقى لا يـرى مـن المـرأة إلّا دونيتها ونقصان عقلها..

٦ ـ الفهم الخاطئ للعمل السياسي وتضييقه في مجال الاحزاب مثلاً

في حين ان الحياة كلها سياسة والعمل السياسي يلج كل الابواب.

٧ ـ انحسار الاسلام عن دائرة الحياة العامة وبالتالي انحسار الدور الاسلامي للمرأة، مما يجعل طريق المرأة طويلاً وشاقاً.

٨ ـ العائق البيولوجي والذي لا ارى له تأثيراً واضحاً هكذا باعتبار ان الحمل والولادة مثلاً امور يمكن ان تؤخر حركة المرأة شهوراً أو سنين محدودة ولكن ليس العمر كله، كما ان المرأة الواعية تستطيع ان تضع لها برمجة خاصة كي تعيش التكيف الصحيح بين اوضاعها ومسؤولياتها. واذا كان الزوج على وعي تام با اهمية عمل زوجته ومشاركتها السياسية وضرورة تواجدها في المجتمع فاعتقد انه يكون نعم العون لزوجته (ورسالته ايضاً).

المصادر

١ ـ الطبري ـ جامع البيان.

٢ ـ سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

٣ ـ محمد حسين الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن.

٤ ـ محمد حسين فضل الله ـ من وحي القرآن.

٥ ـ محمد علي قطب ـ بيعة النساء.

٦ ـ محمد مهدي شمس الدين ـ مسائل حرجة في فقه المرأة.

٧ ـ مرتضى مطهري ـ نظام حقوق المرأة في الإسلام

٨ ـ عبد الحليم ابو شقة ـ تحرير المرأة في عصر الرسالة.

٩ ـ فتنت مسسيكة بر ـ حقوق المرأة بين الشرع الاسلامي والشرعة العالمية لحقوق الإنسان.

١٠ ـ محمود شلتوت ـ الاسلام عقيدة وشريعة.

١١ ـ فتحي رضوان ـ الاسلام والمسلمون.

١٢ ـ مجلة قضايا اسلامية معاصرة.
١٣ ـ مؤسسة البلاغ ـ دور المرأة في بناء المجتمع.
١٤ ـ الشهيد محمد باقر الصدر ـ الاسلام يقود الحياة.
١٥ ـ نخبة من العلماء ـ لمحات من الفكر السياسي.
١٦ ـ جان مارى رايكان ـ علم السياسة.
١٧ ـ الياس ديب ـ عالم الولد.
١٨ ـ مجلة المنطلق عدد ٦٠.
١٩ ـ احمد مظهر ـ المرأة في عصر الديمقراطية.
٢٠ ـ جون استيوارت مل ـ استعباد النساء.
٢١ ـ نصر حامد ابو زيد ـ دوائر الخوف في خطاب المرأة.
٢٢ ـ الزمخشري ـ الكشاف.
٢٣ ـ عصام شبارو ـ القضاء والقضاة في الإسلام.
٢٤ ـ محمد علي قطب ـ فضل تربية البنات في الإسلام.
٢٥ ـ العقاد ـ المرأة ذلك اللغز.
٢٦ ـ غاستون بوتول ـ سوسيولوجيا السياسة ترجمة نسيم نصر.
٢٧ ـ عبد الله جوادي آملي ـ جمال المرأة وجلالها.
٢٨ ـ مجموعة مؤلفين ـ دور المرأة في حركة الوحدة العربية.
٢٩ ـ الموسوعة السياسية.
٣٠ ـ ابن سعد ـ الطبقات الكبرى.
٣١ ـ صحيح البخاري.
٣٢ ـ صحيح مسلم العسقلاني.

٣٣ ـ الاصابة في تمييز الصحابة.

٣٤ ـ سعدي ابو جيب ـ دراسة في منهاج الاسلام السياسي.

٣٥ ـ ابن كثير ـ تفسير.

٣٦ ـ مكارم شيرازي ـ التفسير الامثل.

٣٧ ـ هشام شرابي / النظام الابوي واشكالية تخلق المجتمع العربي.

٣٨ ـ عبد الوهاب الكاشي ـ مأساة الحسين ع بين السائل والمجيب.

٣٩ ـ بنت الشاطئ ـ السيدة زينب.

الفهرس

- ... الترجمة ...

- ... بينهم اتفاق على ...

- محلوظة عند العلماء أما العوام والجهلاء فهم يحاصون العلم العلماء ، عبرها قبل هذا

- أما ما ذكرته في مسألة في مسألة ...

- ~~... العرب أن ... ازدواجية في الشخصية ...~~ ... فيها ازدواج
تكلمت عن (ازدواجية الشخصية العربية) وفي ...؟

- تقول في بداية كتابها إلى المرأة المسلمة أكتب كلماتي هذه)
ولكني أتساءل بعد قراءة الكتاب لمن وجهتها؟

- تذكر أن المجتمع الذكوري فسر الآيات والأحاديث كما يهوى وحسب ما يريده أن ... من سيطرة وهيمنة على المرأة كي لا يمتد موقعه ولا ... ... أنه ... ليس بمتبعي هوى .

- نقلت من كتب مثل الميزان
التبيان الأمثل والطباطبائي
مكارم شيرازي

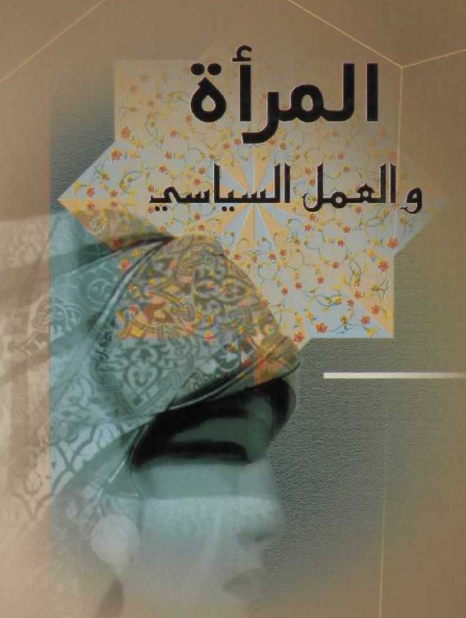
- تستدل بأمور في عصر النبي المعاصرة على أمور بعيدة عنها أصلاً
- استدلت ببيعة النساء للنبي على أنها حق انتخاب الحاكم والقائد؟
وهنالك فارق كبير

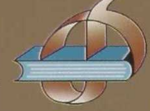
- تستدل بأحاديث ووقائع تاريخية وآثار ولا تنسبها لكتب الأحاديث والآثار والتاريخ ، إما أنها لا تبين للمصدر أو تنسب إلى كتب معاصرة

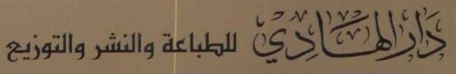
- تنقل تفسير الآيات عن معاصرين من مفكرين وأدباء ولا تنسبها لعلماء التفسير متقدمين أو متأخرين والأصل نقل تفسير علماء التفسير أو تفسير الصحابة

- ... تدل على أن المرأة تزاول العمل السياسي والاهتمام بشؤون الأمة ... النساء في عهد النبي قبل هجرة النبي مهاجرات من مكة و... حق اللجوء السياسي) كما تسميه الدكتورة

المرأة والعمل السياسي







هاتف : ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٢١٦٩٣٩ - فاكس : ٠١/٤٥١١٩٩
ص.ب : ٢٥/٢٨٦ - غبيري - بيروت - لبنان
URL :htty://ww.daralhadi.com
E-MAIL : daralhadi@daralhadi.com